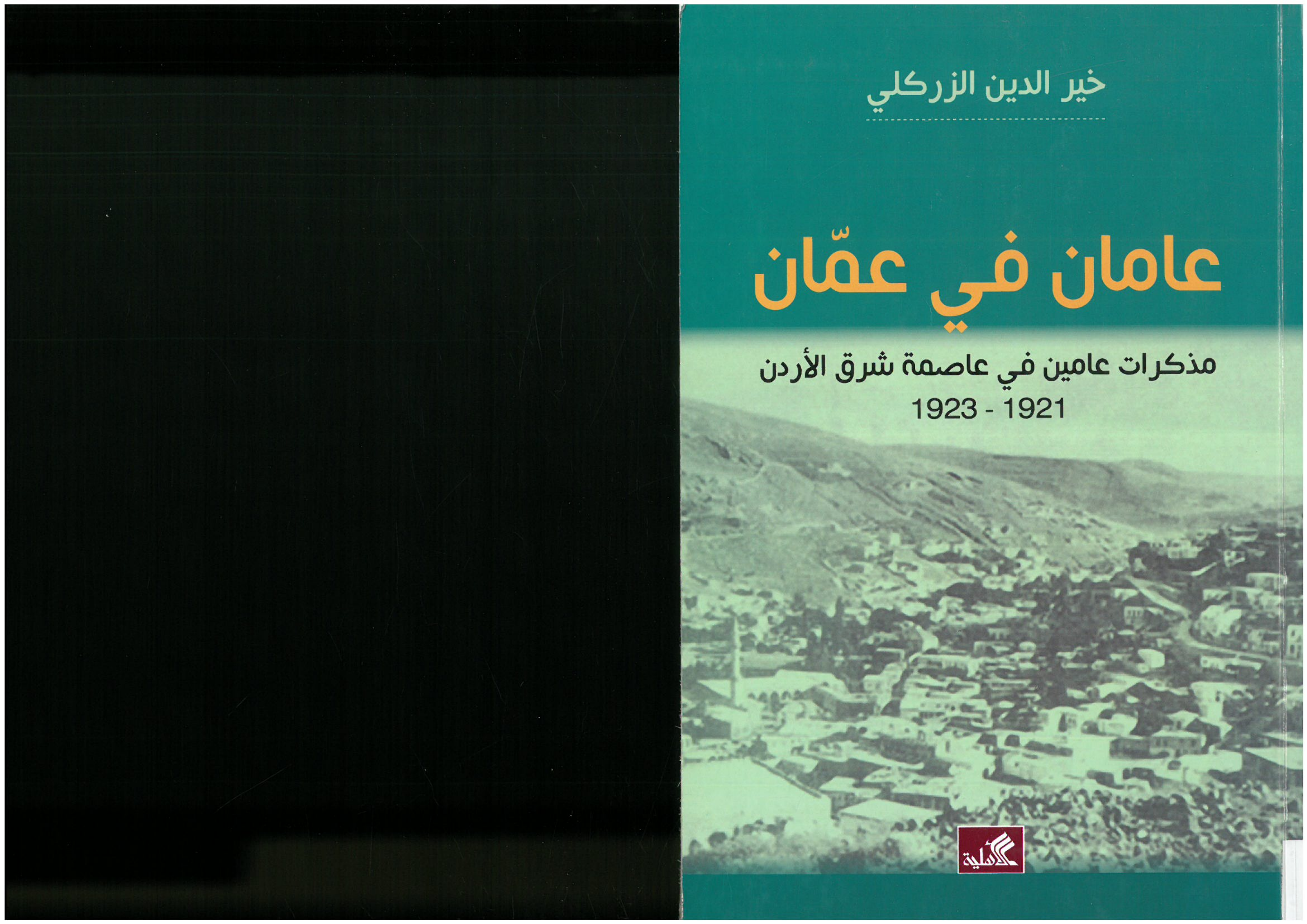


خير الدين الزركلي
عامان في عمّان
مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن
1921 - 1923
الأهلية

خير الدين الزركلي

عامان في عمّان

مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن

1921 - 1923

تحقيق ومراجعة

عيسى الحسن





الأهليّة للنشر والتوزيع
e-mail : alahlia@nets.jo

الفرع الأوّل (التوزيع)
المملكة الأردنية الهاشمية ، عمّان ، وسط البلد ،
شارع الملك حسين، بجانب مطعم القدس - بناية رقم 12
هاتف 4638688 6 00962 ، فاكس 4657445 6 00962
ص. ب 7855 عمّان 11118 الأردن

الفرع الثاني (المكتبة)
عمّان ، وسط البلد ، شارع الملك حسين ،
بجانب البنك المركزيّ ، مكتب المقاصة - بناية رقم 34

مكتب بيروت
لبنان ، بيروت ، بئر حسن ، شارع السفارات
هاتف : 824203 1 00961 ، مقسم 19

◆

عامان في عمّان

مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن

1921-1923

تأليف: خير الدين الزركلي

تحقيق ومراجعة: عيسى الحسن

الطبعة الأولى ، 2009

◆

الغلاف : علي حسين الحسيني
99782270 7 00962 ، عمّـــان ، الأردن

الصف الضوئي : إيمان زكريا - 079/5349156

تمهيد

في ذات يوم من أيام عام 1921، تطلع الأمير (الملك) السريع الذكاء عبدالله بن الحسين (رحمه الله) من المكان القابع به في الحجاز، وقرر أن تكون مؤاب موطئ قدميه. فحشد حوله بعض الأتباع المخلصين، واستقال من منصبه كوزير لخارجية الحجاز، واستقل قطاراً صاعداً في المدينة إلى الشمال، عبر الصحراء.

كان عبدالله - ثاني أنجال الملك الحسين بن علي، ملك الحجاز - الذي سمته عائلته في حداثة سنّه تحببا بـ «الولد المتسرّع» أكثر أبناء الحسين، ذكاء ومرونة، وفوراناً، وأقربهم إلى القلب. فهو أول الهاشميين الذين عملوا على إعداد الاتفاق بين بريطانيا والهاشميين، ولكنه لم ينل في عيون الإنكليز، وفي عيني لورنس بالذات، الحظوة التي كانت لأخيه فيصل. وعندما التأم مؤتمر القاهرة، ليرسم الخطط، لإعادة الاتزان إلى الشرق الأوسط، لم يجر عبدالله وراء العرش المشتهى في العراق، رغم تردد فيصل، إذ لم يرَ رغبة فيه من

جانب المؤتمرين، وهذا ما أثاره حقاً، ولكنه مع ذلك ظل وافر النشاط، والحيوية، وعندما لم يجد مقاطعة ليحكمها خلق هو بنفسه هذه المقاطعة.

لم يكن لدى عبدالله في رحلته من الحجاز إلى الشمال فحم حجري يكفي لتسيير القطار الذي استقله، فكان يضطر إلى الوقوف كل بضعة أميال فيقطع بعض أعمدة البرق، ليوقد بها نيران القاطرة. وكان القطار يصل أحياناً نقطة، دمرت فيها السكة الحديدية، وخُلعت من مكانها، فكان رجاله ينزلون ويصلحون الخط فوراً. وظل القطار مواصلاً سيره حتى وصل إلى معان، التي كانت تعتبر جزءاً من الحجاز.

نزل عبدالله من القطار، واثقاً من نفسه، وأعلن نفسه نائباً لملك سوريا، وأكد تصميمه على الزحف إلى دمشق لإخراج الفرنسيين منها وإعادة فيصل إلى عرشها. ودعا جميع العرب الصادقين إلى الالتفاف حوله لمساعدته في تحرير سوريا.

لكن الرد كان فاتراً. فكثير من شيوخ القبائل توانوا عن القيام بهذا الشرف، ووعد بعض الضباط السابقين، بالتطوع، إذا تعهد لهم عبدالله بدفع رواتبهم التقاعدية، أما وجهاء معان، فقد وافقوا على الاشتراك في العملية إذا دفع لهم عبدالله مائتي ألف جنيه. ولما كان الأمير لا يملك هذا المبلغ، فإن مشروع تحرير سوريا بدأ بالانهيار.

ولكن وصول الأمير إلى المنقطة، غيّر أوضاع شرق الأردن. وسرعان ما اتجه عبدالله شمالاً من أراضي أبيه ليدخل أراضي المنطقة الواقعة تحت

الانتداب. وعندما وصل إلى الكرك، لم يدر رئيس حكومة مؤاب الوطنية ماذا يصنع، إذ لم يتلق شيئاً من الحكومة البريطانية، ولم يكن يدري أيرحب بالأمير أم يقاتله بمدفعه الموجود لديه. وقرر اتباع سبيل المجاملة، فسار على رأس مجلسه الوطني لمقابلة عبدالله في المحطة. وقال الأمير بعظمة وجلال «هل أفهم من مجيئك. إنك جئت ترحب بي باسم حكومة بريطانيا العظمى؟» فرد كيركبرايد بالسلب، مضيفاً أنه جاء ليرحب بالأمير باسم حكومة مؤاب الوطنية. وسرّ الأمير لهذا الاعتراف الجديد فقال «حسناً، ليس هناك من أرضى بترحيبه أكثر من هذه الحكومة، وأنا واثق من أنك ستظل إلى جانبي، تقدم لي العون والمشورة في الأيام الصعبة القادمة». كان هذا الاجتماع موفقاً للغاية، وقد فهم الرجلان بعضهما على التو، وظلا صديقين طيلة الثلاثين سنة اللاحقة.

وبينما كان عبدالله يتقدم نحو عمان. كان تشرشل ومستشاروه يعقدون مؤتمرهم في القاهرة. وبينما كان المؤتمر يواصل انعقاده، أعلن عبدالله نفسه سيداً على الأردن، وأقام حكومة في عمان حظيت بتأييد شعبي حماسي. وهكذا صنع عبدالله دولة جديدة. وعندما وصلت أنباء الأمر الواقع إلى مؤتمر القاهرة، أعلن السادة المجتمعون، أن هذا ما كانوا يريدون عمله فعلاً. وأسرع تشرشل ولورنس إلى القدس لمقابلة الأمير، فاجتمعا إليه في دار الحكومة على جبل الزيتون. وبعد نصف ساعة، تقرر إنشاء الإمارة. ووافق تشرشل على الاعتراف بعبدالله، أميراً على شرق الأردن، في ظل الانتداب

البريطاني، على أن لا يمتد وعد بلفور إلى المناطق الواقعة شرق نهر الأردن. وسرّ الجميع بهذا الاتفاق. وقد أحرز عبدالله، تاجا في الأردن (مع اشتراطه موافقة أبيه أولاً) بينما أخذ تشرشل، بعد أن اطمأن إلى أن عبدالله، سيستقر هادئاً ومخلصاً في شرق الأردن، يصرف وقته في القدس، في رسم المناظر المقدسة.

وأقام عبدالله، عاصمته في عمان، وكانت حينذاك لم تزل بلدة صغيرة، تقوم على سفوح جبال أدوم، وبنى عبدالله لنفسه قصرين متواضعين، كما أقام حكومة هاشمية. واستقر بهدوء يحكم الأردن مدة ثلاثين عاماً، بسحر جاذبيته؛ وبسالته، وحيويته المتدفقة، وحكمته الرائعة وبقليل من العناد الذي ورثه عن أبيه.

كان عبدالله، كما كتب كيركبرايد، مرة يقول «ملكاً له وميض في عينيه». ولم يفقد طيلة حياته، طرق الحياة البدوية، ومعالجة مشاكل الدولة بأسلوب أبوي ولكن فيه طابع التفرد. كما لم يضع قط، غريزته، في الميل إلى كل ما هو زاهٍ، ومغامر، وغير متوقع، ولم يهجر، حتى أخريات أيامه، عقيدته في أن مستقبل العرب في وحدتهم تحت ظل الهاشميين. وكان عبدالله، أرستقراطياً، كثير المزاح، شاعراً، ومتعاظماً إلى حدٍّ ما - حتى ليقال إن فاروق ملك مصر، أغضبه مرةً في تعاليه وكبريائه، فعلق على ذلك قائلاً، ليس في وسعك أن تجعل من فلاح بلقاني، سيداً، بمعنى الكلمة، بمجرد تعيينه ملكاً - وكان بالإضافة إلى هذا، متلافاً في ماله، كريماً مع أصدقائه.

ولا يزال الشرق الأوسط، يردد نوادر هذا الملك، الذي لا يُقهر، الذي زاد ذكاؤه ودهاؤه، كلما كبر سنه، ولكنه، لم يبلد تفكيره قط. وكانت أذواقه من طراز قديم، وتشير إلى التقوى. وآمن بانشراح بحقوق الأمراء، وأحب دائماً، تفتيش الاستعراضات، وتجربة الأسلحة، وارتداء الملابس العسكرية، وكان بعكس فيصل يرتدي دائماً الملابس العربية، وقد اخترع مجموعة شطرنج جديدة تمثل جميع الأسلحة الحربية العصرية، بما في ذلك الدبابات والمدافع والألغام والمدرعات. وعلّق أحد زواره قائلاً: «إنني لا أرى القنبلة الذرية بين هذه القطع»، فردّ عبدالله: «إنها قطعة، أحفظها لنفسي».

كان عبدالله مساوماً ماهراً وواقعياً، في القضايا الصغيرة والكبيرة على حد سواء. ويقال إن موظفاً بريطانياً، جاءه، ذات مرة إلى قصره في عمان، ليقترح أن يبتاع شرق الأردن المزيد من البضائع البريطانية، وعلى الفور، أخرج الأمير من أحد أدراج مكتبه، عينة من الزبيب الأردني الممتاز، ووضعها أمام زائره، قائلاً: «إذا أردتم أن نبتاع بضائعكم، فلم لا تشترون بضائعنا».

ولم يكن عبدالله يشعر بالراحة إلا مع الوجهاء أو مع بسطاء الناس، وما كان ليرتاح إلى طبقة «الأفندية» والمثقفين في الشرق الأوسط. ولكنه، في نطاق عزّته الهاشمية، كان قومياً عربياً، متحمساً. وفي السنوات الأولى من حكمه اكتظت عمان، بآلاف الناقمين من الوطنيين في سوريا. وأصبح عبدالله، لحقبة من الزمن كان حكم والده إبانها قد انتهى، وأخوه علي أضحى منزوياً، وأخوه فيصل، بعيداً في العراق، حامل لواء القومية العربية والمنافح الرئيسي

عن استقلال العرب. لكن هذا المجد لم يدم، وقد أشار عبدالله نفسه بأسى ذات مرة، بأن التجزئة وعدم الاتحاد هما مصيبتا العرب الكبريان. وعلى كل حال، فقد ظل عبدالله باتفاق الكلمة وإجماعها، أكثر الحكام الهاشميين عبقرية، وجاذبية، واتسمت سياساته دائماً بالكياسة والواقعية وبُعد النظر.

كان الأردن على جانب من الفقر المدقع بالنسبة إلى البلاد التي يحكمها فيصل (العراق). ففي الأردن كان يقيم ثلاثمائة وخمسون ألف شخص ليس إلا، وتتألف معظم البلاد إما من الجبال الصخرية الجرداء أو من الصحارى الشاسعة التي لا حدود لها. وتقع الأرض الوحيدة المزروعة في سهل ضيق يمتد على الحدود الغربية، ويحد البلاد إلى الغرب نهر الأردن، وإلى الشرق صحراء لا نهاية لها، وحتى عام 1924، عندما أخذ الأمير عبدالله، القسم الجنوبي من (شرق الأردن) من والده ملك الحجاز، لم يكن للإمارة أي منفذ إلى البحر، إلا عن طريق فلسطين، نحو ساحل البحر الأبيض المتوسط. وهذه المنطقة لا تنتج شيئاً، ولا تصنع شيئاً، فهي من الناحيتين الاقتصادية والجغرافية لا شيء مطلقاً. وعمان، كانت المدينة الرئيسية في الأردن، أما أماكنها التاريخية القديمة كجرش والبتراء والكرك، فقد أضحت كلها خرائب. وزالت غاباتها من عالم الوجود، بعد أن استخدمت أشجارها، إما في مد سكة حديد الحجاز، أو في تغذية قاطراتها بالحطب اللازم للاحتراق. ولم يكن في البلاد أية طرق للمواصلات، باستثناء سكة حديدية واحدة، ولا مدارس، ولا شرطة، ولا مقومات للكيان.

لقد خلق عبدالله كل ذلك من العدم، وأعاد إليها أمجادها الماضية، التي فقدتها منذ أيامها الخالدة، عندما كانت العقبة، منفذ التجارة في الشرق، وكانت جرش ملأى بالمسارح، ورجال العلم، والأنباط، يسلبون القوافل المارة من مدينتهم المنحوتة داخل الجبال، وكان رينو دي شاتيون أيام الحروب الصليبية، يقيم في قلعة الكرك التاريخية.

وترك الإنكليز، عبدالله في بداية الأمر، يحكم هذه المقاطعة المتأخرة، وفق ما يشاء ويهوى، فقد أعاروه، موظفيْن أو ثلاثة، ودفعوا له إعانة سنوية، وأعربوا له عن طيب تمنياهم، ثم اتجهوا باهتمامهم إلى جهات أخرى. لكن هذه الطريقة لم تنجح. فالأمير لم يشتهر بالاقتصاد والتوفير، ومجموعة الرجال الذين ألفوا حكومته الأولى كانوا من المهاجرين القلقين المعروفين بتبذيرهم، وكان مستشاره البريطاني الرئيس سنت جون فيلبي، يحمل الكراهية لمساوئ التدخل البريطاني. وهكذا انهارت الدعائم الاقتصادية للدولة، انهياراً كاملاً، لاسيما وأنها منذ البداية، كانت متداعية، ولم يكتف الوزراء السوريو الأصل، بتعبئة جيوبهم فحسب، بل أخذوا يهربون كميات من الأموال إلى جماعات الثائرين السوريين عبر الحدود. واتصفت الحكومة بسوء التبصر والعناد، بينما كانت الأموال تُنفق بلا حساب. وفي عام 1924، قررت وزارة المالية البريطانية، بعد أن فحصت حساباتها، عدم تمويل حكومة الأمير عبدالله، إلا إذا أشرف البريطانيون على ماليتها.

وهكذا أصبح المعتمد البريطاني في الحقيقة أعلى سلطة في البلاد، وله قوة الإشراف والمراقبة (وكان فيلبي، قد غادر عمان ليصبح الرحالة والمكتشف للجزيرة العربية)، وفصل الموظفون الدمشقيون من مناصبهم. واحتل الإداريون البريطانيون المراكز الرئيسية في الدولة، وأضحت الأردن بطريقة ما، محمية ومستعمرة، مرتبطة بالانتداب على فلسطين، مع بعض مظاهر الاستقلال الداخلي. وكتب عبدالله، بجفاف في مذكراته معلقاً يقول: «لقد كانت هذه المرحلة، أشق مراحل شرق الأردن والأسرة الهاشمية، وتحتم علينا، أن نتذرع بالصبر والحكمة».

وظلت الأردن عشرين عاماً، في هذا الوضع من الاستقلال، لا تستطيع العمل بانفراد، وتعيش على المساعدات البريطانية، وإن كانت تتمتع بنعم السيادة، وقد ارتفعت المعونة البريطانية من 120 ألفاً في عام 1921 إلى مليونين ونصف المليون في عام 1948 إلى اثني عشر مليوناً ونصف المليون في عام 1956. وكان هناك أحياناً بعض الاحتكاك، بين الأمير وبعض الموظفين البريطانيين، ولكن سلسلة من الصداقات الوثيقة نشأت بين أفراد من البريطانيين والأردنيين وبين الأمير وأقرب مستشاريه. لقد كان هذا الاستعراب الذي تطلع إليه البريطانيون دائماً. والذي لم تنخره أدران السياسة والمصالح الاقتصادية، بل تغذيه قيم الصحراء، لاسيما وأن النظر الحاد، والبندقية الصالحة للاستعمال، ظلا حتى ذلك التاريخ خير رفيقين لحياة العربي، ولم يكن قد ظهر هناك حتى الآن من يحرض الشعب على حكومته.

وعاشت الأردن أكثر البلاد العربية هدوءاً وراحة، في حاضرتها وباديتها، بينما سارت الصداقة العربية البريطانية في طور النمو والنضوج. وعقدت في عام 1928 معاهدة تحالف بين البلدين، تعهد البريطانيون بموجبها بالدفاع عن حدود الإمارة، وتسديد عجز ميزانيتها، ووافق الأمير بمقتضاها، على إبقاء السياستين الخارجية والمالية تحت الإشراف البريطاني. وهذه المعاهدة لم تعنِ في الحقيقة أي تبدل في وضع البلاد.

لقد ظل البريطانيون يساهمون في الدفاع عن البلاد ضد بعض الغزوات من بعض الجيران، والذين واصلوا نزاعهم مع الهاشميين هادفين إلى ضم الأردن إليهم. واستمرت المناوشات والاشتباكات والاعتداءات على حدود الإمارة الجنوبية والشرقية، وفي عام 1928 تقدم الوهابيون يشعلهم الحماس والنصر، باتجاه عمان نفسها. وكانوا قد بعثوا بإنذاراتهم، بطريقتهم الخاصة التي يحملها الرسل السريون، ووضعوها في ضواحي العاصمة، ثم اتبع الإخوان هذه الإنذارات بهجومهم. وكانت قوة الدفاع الوحيدة مؤلفة من الجيش العربي، الذي أسماه عبدالله جيش الثورة العربية، يقوده ضابط بريطاني يدعى الكولونيل بيك، ولكن سلاح الجو الملكي البريطاني مع وحدة مدرعاته، الموجودة في مطار عمان ساهما في إنقاذ الموقف في ذلك اليوم، وتقدم الوهابيون بالألوف عبر السهل الذي يقع إلى الشرق من عمان، يمتطون جِمالهم، ويحملون أعلامهم الحمراء والخضراء، وتعلوهم سحب الغبار المتصاعدة، وقد صمموا على احتلال العاصمة. لكن هذه

القوة الضخمة، مزقتها، أربع سيارات مدرعة وطائرتان. فقد ألقت الطائرتان عدداً من القنابل على الزحوف المتحمسة، بينما أصلتهم السيارات المدرعة وابلاً من رشاشاتها. وانهزمت جموع الوهابيين أمام غارات الطائرات والمدرعات، فطاردتهم، تطوق أجنحتهم تارة، وتتقدمهم تارة أخرى، وتمزق شملهم حيناً لتبددهم حيناً آخر وعندما اختفى آخر الغزاة وراء الأفق، وعادت المدرعات منتصرة إلى قواعدها في عمان، كان السهل الفسيح، مليئاً بجثث القتلى والجرحى من الغزاة والجِمال. وقد تم أسر نحو ستمائة من الغزاة، بينما قُتل خمسمائة آخرون، وهكذا تم تأمين حدود الأردن الجنوبية والشرقية.

والخلاف الاجتماعي الرئيسي في البلاد، لم يكن يقوم بين الأغنياء والفقراء، بل بين البداوة والحضارة. ففي أراضي الأردن الجرداء، ومن تلال أدوم إلى الصحراء السورية في الشرق، عاشت القبائل البدوية المشهورة، الرولى في الشرق ولها سبعة آلاف خيمة، والحويطات في الجنوب بعامة وعودة أبي تايه، وبنو عطية على حدود الحجاز، وبنو صخر في الوسط ولهم ثلاثة آلاف خيمة، وأهل الجبل، في المنطقة الشمالية وبين هذه القبائل الرئيسية، عاشت قبائل وعشائر أخرى أقل أهمية وعدداً واصغر حجماً، تعتمد في علاقاتها على تحالفاتها مع القبائل الكبيرة ووقوفها إلى جانبها في أوقات الخصومات والمنازعات. ويمتاز بدو الأردن بالجاذبية واتساع الأفق، والرغبة في الانفرادية والشعور بالعظمة القبلية. لقد عاشت هذه القبائل في الماضي على تقاليد الحروب القبلية، بما فيها من غزوات وأمجاد.

وإلى الغرب من هذه القبائل، عاشت في الأردن جماعات من الناس أقل ميلاً إلى الحرب، وأقل قلقاً، وعملت في زراعة الأراضي الواقعة على مقربة من الحدود الغربية. فمنذ فجر التاريخ، استمرت هجرة الجماعات البشرية من الجزيرة العربية باتجاه الشمال، في شكل هجرات واسعة النطاق أحياناً وضيقة أحياناً أخرى، وأقامت في الأجزاء الشمالية من الشرق الأوسط، أعراب، تنتمي في أصولها إلى الهجرات المتدفقة من الجزيرة العربية، ولكنها سرعان ما حضّرت نفسها، وأقامت في المناطق التي هاجرت إليها، وعملت في الزراعة. ولا ريب أن هذه العملية، برزت في الأردن، أكثر مما برزت في أي بلد عربي آخر. وعلى الرغم من أن القبائل البدوية، التي لم يمضِ على هجرتها من الجزيرة العربية أكثر من ثلاثة قرون، واصلت طوافها، على حدود المناطق الزراعية، إلا أن هذه المناطق، استقرت فيها، وزرعتها، جماعات أخرى من البشر الذين اشتغلوا إما في الأعمال الزراعية أو التجارية. وبين هذه الجماعات فئات من الشراكسة الذين أتى بهم الأتراك إلى هذه المناطق لأسباب تتعلق بالديانة أو بأمن الدولة، وفئات أخرى يمكنك أن تدرك فور مشاهدة أبنائها بشعورهم الشقر وعيونهم الزرقاء، أنها من نسل الصليبيين، لكن الغالبية، كانت من أبناء الصحراء العربية.

لقد كان بعض زعماء القبائل الأردنية في الحقبة التي تلت عام 1920، أشبه ما يكونون بزعماء قبائل عُمان أو غيرها من قبائل الساحل العربي، ولهم طبائع حادة كالعواصف الرملية ثائرة كالعقبان. وعاش سكان الحضر، وقد

فقدوا ما كان لهم من حماية الأتراك، تحت رحمة هذه القبائل، وكثيراً ما تعرضت القرى لغزوة ليلية من فئة مغوارة بدوية، تداهمها في حلكة الظلام، فتستولي عليها، وتنهب ما فيها، ثم تغادرها في الصباح إلى قفار الصحراء. دون أن تمس شيوخها وأطفالها أو نساءها بأذى جرياً على العادات القبلية. وعندما حلت السنوات التي تلت عام 1920، كان معظم سكان القرى، وقد تجاهلوا كبرياءهم وعزتهم، قد توصلوا إلى اتفاقات مع شيوخ البدو الضاربين على مقربة منهم، يدفعون إليهم الجزية مقابل الحماية. ولكن الهاوية بين الفلاحين والبدو ظلت على عمقها، فقد استمر البدو في اعتقادهم بسيادتهم، بينما شعر المزارعون بإحساس من الخنوع والإذعان.

وقد قرر عبدالله إلغاء هذه العداوات، ومنع الغزو القبلي، وتهدئة الأحوال في الإمارة. وأصبح الجيش العربي الصغير، بزعامة بيك، أداة في الإصلاح الاجتماعي. وبدأ تدريب المزارعين على الثقة بقوات الدرك، والأمن العام، والنظر إلى الدولة كحامية لهم، بدلاً من شيوخ القبائل. وأصبح الجيش نفسه، أداة لصهر الميول المتضاربة وإعادة تشكيلها، ففي صفوفه يجتمع رجال من مختلف الأشكال، من بدو وحضر، يهذبون ويعلمون النظام ويدربون على حب بعضهم البعض. وحلت المشاكل الزراعية، بإدخال نظام من الإصلاح الزراعي، لعله الأول من نوعه، والأكثر شمولاً في الشرق الأوسط. وانتهى عهد الغزو القبلي عبر الحدود السعودية بواسطة قوات الصحراء، التي ألفها الجيش العربي نفسه، من أبناء البادية.

وقبل خروج البريطانيين من الأردن – أو على الأصح قبل طردهم منه – تحول من أرض لا مالك لها، مليئة بالقتال والصراع، إلى دولة، هي من أكثر دول العالم هدوءاً وأمناً، يطمئن فيها السائح على نفسه، أينما ذهب، ويجلس ابن عشيرة الرولى مع ابن عشيرة بني عطية يبحثان تاريخ الماضي، بهدوء وأمن، بينما لو استمرت الأحوال على ما كانت عليه، لتخاصما، وقطعا رقاب بعضهما، لأتفه الأسباب.

* * *

كان قد وصل إلى الأردن في عام 1930، ضابط بريطاني، اشتُهر بتهدئة قبائل العراق. وكانت طريقته تقوم على بعث الثقة وإيجاد الصداقة. لأنه وجد أنك إذا نجحت في كسب ثقة البدوي فقد نلت صداقته. وفي إمكان البدو أنفسهم أن يضعوا نهاية للحروب القبلية، ولذا يجب استخدامهم في إنهائها.

هذا هو جون باغوت غلوب، أكثر البريطانيين صلة بالعرب وشهرة عندهم، وقد جاء إلى الأردن على رأس بعثة مهمتها، إصلاح ذات البين بين الشرق والغرب، وشرح طرق الغرب للعرب لتتقبلها عقولهم. وسرعان ما أحبه البدو، حتى أن بعضهم لحقوا به من العراق إلى الأردن. وأسموه بـ «أبي حنيك» نظراً لإصابته في ذقنه. وقد قابلهم غلوب حباً بحب، وفهماً بفهم، ومن صفوفهم المتنازعة المتضاربة، اختار، قوته الصحراوية. لقد كان

غلوب، رجلاً هادئاً متحفظاً، يحترم نفسه، له وجهه، الجميل الصورة، وابتسامته المرحة. ولم يعرفه في الأردن نفسها حق معرفته إلا القليلون. فقد كانت طبيعته نارية ملتهبة، وعقائده عميقة أصيلة، وظل طيلة عمله في البلاد بعيداً عن الناس، ولكن كل مسافر في الصحراء الأردنية، بل كل مزارع في جبالها ووهادها، وكل فرد في عشائرها وقبائلها البدوية، وكل جمل من جمالها، كان يعرف غلوب باشا على أنه رجل أحب السلام والهدوء لتلك البلاد.

وهكذا مرت بتلك البلاد، ألوف من الأيام الوديعة المسالمة. وعلى الرغم من أن عبدالله، اجتاز بعض المشاكل السياسية في داخل البلاد وخارجها، إلا أن الأردن ظل نحو عشرين عاماً، بلداً صغيراً معزولاً عن تيارات العالم وعواصفه. وكان عبدالله في الأيام الأولى من حكمه مثال الأمير العربي المطلق الحكم، الذي يسير على نظام شيخ القبيلة، فيفتح قصره وصدره للجميع، ويقدم مشورته لمن يطلبها، ويستدعي إلى مقابلته أحياناً شيوخ الصحراء ورجالاتها. ومع مضي الزمن، تطور نظام الحكم في الإمارة، وأخذ يتعقد شيئاً فشيئاً. وكانت الوزارة مسؤولة أمام الأمير مباشرة، وهذا ما أثار شعوراً من السخط لدى بعض المفكرين في عمان. وأخذت أحزاب المعارضة في الظهور، يدفعها إلى ذلك تصوران، أولهما: أن الأمير يحكم حكماً انفراديا، وثانيهما: أنه «صنيعة البريطانيين». وكما حدث في العراق، بدأت الصيحات تتعالى، بوجوب تقييد سلطة الأمير وتوسيع الحكم الدستوري،

وفصم العلاقات مع البريطانيين. وأخذ الشعور المعادي للصهيونية يشتد باستمرار مع اتساع سيطرة اليهود في فلسطين وتطلعهم في أحلامهم عبر نهر الأردن إلى الشرق. بدأت صيحات القومية المتعالية في بغداد ودمشق والقاهرة، تترك صداها في مقاهي عمان. لكن عبدالله ظل ثابتاً لا يهتز. فكبح من جماح المتطرفين، وشجع المخلصين الموالين، وكانت لعبدالله سيطرته على الجماهير، وتغلب على خصومه السياسيين بنفس أساليبهم وطرقهم.

وكان موقفه من الدول العربية الأخرى، أكثر استقلالاً، فطموحاته واسعة، تضيق عنها حدود إمارته الصغيرة، وعاش طيلة حياته يحلم بسوريا الكبرى. وهذا الحلم في رأيه، يجب أن يضم، العراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين. وظل هذا المشروع أحقاباً طويلة هو الفكرة المسيطرة على شؤون الشرق الأوسط، تحلق فيه الشكوك في كل مكان، وتثير العداوات. وكان للأمير مؤيدوه في سوريا من أتباع المدرسة القديمة، الذين يتطلعون إلى الأنظمة التي أشرفت على الزوال، وبينهم الأئمة، وسادة الإقطاع والشيوخ، وكثيراً ما انتشرت الشائعات، في العالم العربي بأن الأمير على وشك الزحف على دمشق. وفي أحيان كثيرة كان الفرنسيون في سوريا يؤكدون لبعضهم البعض، أن البريطانيين يعدون العُدّة بمساعدة عبدالله، لضم سوريا إلى الأردن.

وقد أظهر عبدالله، كأخيه فيصل تماماً، منتهى الكفاءة، في علاقاته ببريطانيا. فقد امتازت هذه العلاقات بالدفء والطابع الإنساني، وقدمت

المثال على إمكان التعاون العربي البريطاني. ويرجع السبب في هذا، كما يبدو، إلى أن هذه العلاقات، اتسمت في السنوات الأخيرة بطابع الصداقات الشخصية. وعندما يتحدث الناس، وفي صوتهم رقة، عن تلك الأيام القديمة السعيدة، عندما كان العرب والبريطانيون أصدقاء، فإنهم يشيرون حقاً إلى تلك العلاقة الوثيقة التي ربطت بين عبدالله، وإليك كيركبرايد، الذي ارتقى من مركز رئيس دولة مؤاب، ليصبح المعتمد البريطاني ومن ثم أول سفير لبريطانيا في عمان. ولما كان غلوب ايرلنديا، فقد كانت له بعض الخصائص التقليدية البريطانية ليس إلا، لكن كيركبرايد كان مثال الإنكليزي، بطول قامته، وثبات جأشه، وبرودة طبعه، وقد تحاب هو وعبدالله منذ اللحظة الأولى للقائهما.

وسيطرت صداقتهما على أوضاع الأردن. وبينما كان عبدالله، حاكم الأردن ضمن نطاق قيود الإشراف المالي المفروضة عليه، كان كيركبرايد، أداة المعونة البريطانية. وكانت بريطانيا تقدم مشورتها بسخاء، ولكنها لا تُقبل أحياناً، أما الأموال التي تقدمها، فتُقبل كلية، وإن كان عبدالله، عند وفاته، وُجد مديناً نظراً لكرمه الشديد. وكان كيركبرايد يقابل الأمير بصورة رسمية مرتين في الأسبوع، ولكنه كان يقابله بصورة غير رسمية، كل يوم تقريباً، وكثيراً ما كان يقضي عطل نهاية الأسبوع معه في قصره الشتوي في الشونة، حيث تنقضي الأمسيات، في السمر، والحديث، والاستماع إلى الموسيقى، والإصغاء إلى الأمير عبدالله يتلو بعض محفوظاته من الشعر

العربي. ونشأت بين الرجلين صداقة وثيقة من تلك الصداقات التي توجه سير التاريخ، دون أن يكون لها ذكر معين في كتبه. وقد اشترك الرجلان في نوع من الإحساس بالنكتة والميل إليها، وفي المآدب الكبيرة التي كانت تقام في الغرب على شرف الأمير، حيث يكون الرجلان الوحيدين اللذين يتكلمان العربية، كثيراً ما كان الأمير، يبدي بعض التعليقات المزعجة على بعض الحاضرين بالعربية، ثم يتلذذ في رؤية صديقه كيركبرايد وهو يحاول جاهداً ترجمتها إلى الإنكليزية بصورة مهذبة. وكان عبدالله، يدرك في مثل لمح البصر، التوصيات التي تأتي من الحكومة البريطانية، والتي تنال موافقة كيركبرايد الشخصية بإخلاص، كما كان كيركبرايد يدرك بالفطنة والغريزة، متى يكون الأمير منشرحاً، ومتى يكون غير راضٍ. وكثيراً ما كان عبدالله يفاجئ المعتمد البريطاني عند تقديم مشروع إليه بقوله «لماذا لا تحب هذه الفكرة؟» فيرد كيركبرايد «ومن قال إني لا أحبها يا سيدي؟» فيرد الأمير «لم يقل أحد ذلك، ولكنني أدركت من حركة رأسك هكذا أنك لا توافق عليها». وعلى مثل هذا الأساس أقيمت قواعد السياسة الأردنية البريطانية في تلك السنوات الهادئة الطويلة. ولعل هذه الصداقة كانت أقرب أشكال السياسة البريطانية في الشرق الأوسط وداً، لما كانت عليه في الهند، وإن فقدت طابع النظام والكبرياء الإمبراطوريين.

وهكذا ظل الأردن يعيش على التقاليد، في عالم يتبدل بسرعة. مع أن خطة الإصلاح الزراعي كانت تقدمية لامعة، ففي سوريا، أدت سفسطائية

الحكم الفرنسي، والسجل الطويل للثقافة الفرنسية، إلى إحراز نتائج باهرة في الميدان الثقافي. وحتى في العراق، فمع سيلان أموال البترول، بدأت الحياة تدب في ربوعه، وإن كان بصورة بطيئة، وأخذت مظاهر الانتقال إلى الحياة الحضرية، تبدو واضحة جلية. أما الأردن، فقد ظل قانعاً بحاله، ولم تتعد المطالبة بالتغيير الشامل، وبإدخال الأساليب العصرية، أقلية صغيرة. ومع أن البريطانيين، كانوا يحكمون البلاد عملياً، إلا أنهم ما كانوا ليتدخلوا في شؤونها إلا على أضيق نطاق ممكن، ولم يحشروا أنفسهم في مشاكلها اليومية وفي قوانينها وطبائعها. وسارت الحياة في مختلف صورها، كما كانت تسير في السابق، وفق الشرائع الإسلامية، والذكريات العثمانية القديمة، يوجهها الأمير طوراً بعنف، وآخر بلطف، من قصره القائم على التل. ومع أن بعض الأحكام العربية الصارمة القديمة، قد زالت كقطع يد السارق، وسمل عين الجاسوس، إلا أن إعدام القاتل شنقاً، ظل يُنفَّذ علناً في ساحة عمان الرئيسية، وعلى مشهد من الجماهير.

وأخذ شرق الأردن ينمو في عهد، كانت بريطانيا فيه في طريق الأفول. ولم يحل عام 1930، حتى اتضح للمفكرين العرب، أن ذروة ازدهار الإمبراطورية البريطانية، قد أخذت في الهبوط التدريجي. ففي مصر، واصل الوطنيون حثها على الإسراع في الجلاء. وفي فلسطين، وجدت نفسها في قلب دوامة وعد بلفور، فغضب العالم العربي بأسره، دون أن ترضي اليهود. وفي العراق، تركزت شؤون السياسة، حول وجوب طردها منها. ففي كل

مكان، كان القوميون العرب، قد وجدوا أنفسهم في سراب خادع. لقد وجدوا أنفسهم يتألمون من خيانة بريطانيا لأهدافهم ومصالحهم، ورأوا فيها - أي بريطانيا - السوط الذي يجلدهم، فأخذوا يجهرون بوجوب التخلص منها. ومع أن بريطانيا كانت لا تزال قوية عملياً في الشرق الأوسط بقواعدها الرئيسية في مصر والعراق، وبقواتها في فلسطين والأردن وبعض أنحاء الجزيرة العربية، وأسطولها الكبير في البحر المتوسط، إلا أنها فقدت ما كان لها من سمعة التفوق المطلق، وأخذت سياستها تتأرجح بين التصلب والمرونة، وبين الغطرسة والشهامة، وبين المثل الأخلاقية والمكيافيلية. ومع أن العالم العربي لم يخلُ من باشاواته الميّالين لبريطانيا. ومن المقلّدين للإنكليز في عاداتهم، إلا أن التيار، أخذ يتجه ضد بريطانيا، وبدأ يهاجم سدودها في الشرق الأوسط بعنف وإصرار.

ولذا، فعندما وجدت بريطانيا عام 1939، نفسها في حالة حرب مع ألمانيا ثانية، لم يقف إلى جانبها، من الدول العربية دون تردد، سوى إمارة شرق الأردن الهاشمية. وإذا أردنا الإنصاف، لم يكن هناك بالنسبة للدول العربية الأخرى نفس مبررات الإقناع بالولاء التي كانت لشرق الأردن، ولكن من الحق أن يقال، إن عبدالله، وغالبية الشعب أيدوا قضية بريطانيا، التي لم يكن أحد واثقاً من انتصارها، بدون تردد أو تذمر أو ضغط مباشر. وكان الجيش العربي الذي يقوده غلوب، لا يزال صغيراً. ومع ذلك، فإن عبدالله، فور نشوب الحرب، أبرق إلى الحكومة البريطانية، عارضاً إرساله إلى

أي مكان في العالم. وقد شكرت الحكومة البريطانية لسمو الأمير آنذاك، عواطفه، وأكدت له أن الحرب ستدور كلية في أوروبا، وأن لا داعي لقلقه مطلقاً، ولكن ما إن حل عام 1941 حتى كان القتال قد وصل إلى الشرق الأوسط، وأخذ يدور بصورة تبعث على التشاؤم، على مقربة من شرق الأردن نفسه. ففي برقة، اشتد الضغط على الإنكليز وأصبحت مصر مهددة. وكانت سوريا في أيدي حكومة فيشي المعادية، وكان للألمان بعثات قوية في دمشق وبيروت. وفي اليونان كان الألمان يقذفون بالحملة البريطانية إلى البحر. وأخذت الدعاية الألمانية والإيطالية تنتشر في الشرق الأوسط مبشرة بقرب هزيمة الإنكليز. وكذروة لهذه الأوضاع السيئة، فقد وقع انقلاب عسكري في العراق في شهر نيسان. واضطر الهاشميون العراقيون إلى مغادرة البلاد إلى المنفى وإلى النسيان، وجاء رشيد عالي الكيلاني إلى الحكم، تؤيده زمرة من الضباط المؤيدين للألمان. وطوقت القوات العراقية المعادية، قاعدة الحبانية. وانتشرت الشائعات بأن الفِرَق الألمانية التي تحملها الطائرات بعد أن تتم تطهير اليونان، ستنتقل إلى العراق، للزحف على مصر من الوراء. ووقفت في مدينة الرجاء، في جنوب إفريقيا، شخصية عسكرية ذات ماضٍ مهم، هو المارشال سمطس، أمام خريطته، في ذلك الشهر، وقرر أن الألمان إذا نجحوا في احتلال العراق، فقد خسر الحلفاء الحرب.

وعلى الرغم من أن ماضي الأمير عبدالله العسكري لم يكن براقا كماضي سمطس إى أنه أدرك على الفور خطورة الانقلاب في العراق، وكتب إلى

القائد البريطاني في الشرق الأدنى يحذره من نتائجه الممكنة. وقال في رسالته، إن من الواجب القضاء على التمرد في الحال، ودون تأخير، حتى ولو لم يكن هناك من داعٍ سوى إمكان استخدام الألمان له (أي للتمرد) في دعايتهم، وما قد يصير إليه من مَثَل يحتذى. ومضى يقول: «إن من الضروري، أن أظل سيداً بالفعل لبلدين وأن أتمكن من إظهار ولائي لحلفائي». ولم يغضبه فقط، طرد الهاشميين من العراق، بل أدرك، أن القوات المظلية الألمانية، إذا ما تم الإسراع بإنزالها في بغداد، فستكتسح الأردن أيضا. ورأى تشرشل، بشكل واضح مخاطر الوضع، فأبرق إلى الجنرال ويغل، القائد العام في الشرق الأوسط، يؤكد له ضرورة إنقاذ الحبانية، وأن عملاً جريئاً قد يقضي على التمرد قبل وصول الألمان. وقد ردّ ويغل، بأن قواته مثقلة بالأعباء، ومع أن في وسعه إرسال رتل من الشرق الأدنى لإنقاذ الحبانية، إلا أن هذا الرتل لا يستطيع الاحتفاظ بالعراق. وسرعان ما جاءه رد صارم من تشرشل يقول: «عليك أن تستغل الوضع إلى أقصى حدود الاستغلال، وأن لا تتردد في الزحف على بغداد حتى ولو بقوات صغيرة، وأن تجازف بالأسلوب نفسه الذي كثيراً ما يتبعه الألمان وينجحون فيه».

وقد أطاع ويغل هذه الأوامر. فنزلت قوة عسكرية مؤلفة من لواء في ميناء البصرة، بينما تحركت قوة أخرى عبر الصحراء السورية، من شرق الأردن، لإنقاذ الحبانية، وربما لاحتلال بغداد. وقد عرض عبدالله قواته هذه المرة، فقبلت بترحاب. وعهد إلى غلوب، بمرافقة القوة البريطانية، مع

وحدته المدرعة المؤلفة من مائتين وخمسين رجلاً، ومعهم سيارات الفورد الأميركية، ومدافع فيكرز الرشاشة القديمة. وكانت مهمة غلوب، إثارة القبائل العراقية ضد رشيد عالي الكيلاني، على أن تتولى السرية العربية حراسته، لكن جنودها، دخلوا المغامرة بحماس زائد. وتلقى غلوب البرقيات من المتطوعين يرجون السماح لهم بالاشتراك في الواجب، وكتب غلوب عن هذه الذكريات يقول: «لقد اقتنع كل عربي، بأننا قد انتهينا، لكن بدو الجيش العربي، ظلوا صامدين في ولائهم للحلف معنا. ولما كانوا قد عملوا معنا في أيام الرخاء، فقد استحال عليهم، التخلي عنا في وقت الشدة». واعتقد عبدالله نفسه، أن العملية مقضي عليها بالفشل، كما أن كيركبرايد، كان يضطر إلى اغتصاب ابتسامة متضائلة، عند تجوله في الشوارع، فيقول العرب معلقين «لا شك أن كيركبرايد يعرف شيئاً، وإلا لما بدا مسروراً».

وكان الوقت من ذهب، فاللواء الذي هبط في البصرة، أحاطته المستنقعات والأوحال والدوسنطاريا. ووصلت إلى العراق أولى طائرات الألمان المقاتلة، وما لبثت أن تبعتها بعض الطائرات الإيطالية. وبدت على الرتل البريطاني الذي تجمع بسرعة في المفرق، ومن ثم تحرك منها باتجاه الشرق، علائم الارتجال. وارتكزت نواة هذا الرتل، على فوج من الفرسان، أتي به إلى الشرق الأوسط مع خيوله، وسرعان، ما اقتضت ظروف الحرب، مدّه بالآليات بدلاً من الخيول. وقد تيّسر هذا، بجمع ما أمكن من السيارات في فلسطين، التي اشتملت على سيارات الشحن، والصغيرة التي أُخذت من

أصحابها. وتقدمت هذه القوة في الصحراء، باتجاه العراق، وعندما تتعطل إحدى السيارات، كانت تُهجر وتُترك. وتبعتها سريتا مشاة، فبعض المدافع من عيار خمسة وعشرين رطلاً، وبعض السيارات الضخمة، فالجيش العربي.
وكان البريطانيون ينظرون شزراً، في البداية، إلى هؤلاء الجنود العرب، الغريبي الزي، بملابسهم الفضفاضة، وشعورهم المجدولة، وعندما اجتمع القائد البريطاني للمرة الأولى بغلوب قال: «إن هذا الرجل يعتقد نفسه ملكاً على العربية السعودية». ولكن سرعان ما أثبت هؤلاء الجنود العرب كفاءتهم. إنهم من البدو، ويعرفون الصحراء، برمالها وكثبانها واتجاهات الريح فيها، وكانوا يدركون أين يجدون الماء، والقبائل الودودة، والطرق الصالحة للسير. وبينما واصل الرتل الرئيسي سيره باتجاه الشرق، في أرض لم يسبق لجيش عصري أن قطعها، كان رتل الجيش العربي، ينشط في كل مكان، فيقوم بأعمال الاستطلاع، والاشتباك مع الدوريات والمراكز الأمامية العراقية، ويمهد الطريق لزملائه البريطانيين. وكتب أحد الضباط البريطانيين يقول عنهم «كانت الصحراء مروجهم الطبيعية، وكانوا يطوفون حولنا في موجات دائرية، كالمدمرات تحرس قافلة من البواخر الكبيرة» وعندما غاصت جميع السيارات الكبيرة في أرض رملية ناعمة، على بُعد مائة ميل إلى الشرق من الحبانية، قام رجال الجيش العربي بإنقاذها من محنتها. وفي المراحل الأخيرة من الزحف، كان لكل فصيل بريطاني دليل من العرب، يستقل السيارة التي تسير في الطليعة ليرشدها، بوجهه الناحل، ونظره الحاد، وعينيه اللتين تشبهان عيون الصقر.

وعلى كل فقد أثمرت الجرأة أخيراً كالعادة. فالقوات المعادية، تفوق الرتل البريطاني عدداً، وليست لديه بالإضافة إلى ذلك أية حماية جوية. وتفتحت الفرصة الهائلة أمام الألمان، لكنهم لم يغتنموها. وتم إنقاذ الحبانية دون قتال تقريباً، وزحف رجال الجيش العربي بسرعة نحو دجلة، فأسروا متصرفها، وكان قد خرج في جولة استطلاع، ولما عجزوا عن تقرير ما يعملونه به وضعوه في قارب صغير، ودفعوا به في النهر مع التيار باتجاه عاصمته. وبعد أيام من الاشتباكات الفاترة، دخل الرتل البريطاني بغداد، فهربت البعثة الألمانية، كما هربت سابقتها من ينبع قبل خمسة وعشرين عاماً. وعاد الهاشميون إلى قصورهم في بغداد، واستقر الجيش البريطاني ثانية في بلاد الرافدين. وأنشأ طريقاً عبر الصحراء السعودية أصبحت فيما بعد طريقاً رئيسية لتموين روسيا. ولم تصل إلى العراق قوات المظليين الألمان التي تأخرت في جزيرة كريت بصورة غير متوقعة.

وكانت هذه العملية، ذروة اشتراك عبدالله في الحرب، إذ لم يقع بعد ذلك أي تهديد ألماني خطير للشرق الأدنى، على الرغم من أن الغواصات اليابانية كثيراً ما كانت تصل إلى الخليج (الفارسي)، ولعب الجيش العربي دوره في احتلال سوريا حيث تقدمت سيارتان مليئتان بجنوده الرتل البريطاني، حادية أغانيها البدوية الحربية. وبعث الجيش العربي أيضاً بحرس أمامي إلى برقة، حيث كان غلوب كثير التوق، إلى الاشتراك فيها. ولكن الجيش الصغير لم يقم بعد عام 1941 بأي عمل حربي سوى حراسة القواعد البريطانية

والمستودعات، والمؤسسات العسكرية، وخطوط المواصلات، في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وذلك بعد أن زاد عدده، واتسع. وعملت وحدات من هذا الجيش في إيران والعراق وفلسطين، حيث أقيمت وحدة ميناء حيفا، وأخرى على حدود مصر، وثالثة على الطريق الصحراوية إلى بغداد، ورابعة وخامسة و.. و.. في محطات البترول. وتولى رجال الجيش حراسة القطارات بين مصر وفلسطين، وكان البريطانيون، الذين يدربونهم، ويجهزونهم، ويدفعون رواتبهم، يعاملونهم كالبريطانيين تماماً، لكن هذا الجيش ظل القوة العربية الوحيدة، التي ساعدت قضية الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

وكافأت بريطانيا هذا الولاء، بعد انتهاء الحرب، فألغت الانتداب وعقدت معاهدة تحالف جديدة مع الأردن، الذي أصبح رغم الرقابة المالية، دولة مستقلة. وفي الخامس من أيار عام 1946، تُوِّج الأمير عبدالله أخيراً ملكاً على شرق الأردن وسط احتفالات ضخمة رائعة وأعياد وطنية، وصواريخ نارية وعرض عسكري، تقدمته الفِرَق الموسيقية، وجوقة عازفي القرب، تتبعها السيارات المدرعة، والوحدات الآلية والمدفعية، فالهجانة والفرسان، وقد وقف غلوب يؤدي التحية، بينما وقف كيركبرايد، بملابسه الرسمية، يقدم إلى الملك الجديد، تهنئة قصر بكنغهام. وكان قد مضى على الأمير خمسة وعشرون عاماً منذ أن استقل القطار إلى معان ليقيم مملكته الجديدة.

* * *

مؤلف هذا الكتاب الذي بين أيدينا، خير الدين الزركلي، واحد من أبناء سوريا الذين عملوا ضمن أول حكومة تشكلت في (إمارة شرق الأردن) بقيادة الأمير (الملك) عبدالله بن الحسين، وكان قد شغل أكثر من منصب فيها على مدى أكثر من عامين، وكتابه هذا الذي سماه (عامان في عمان) عبارة عن مذكرات ويوميات عاشها في تلك الفترة مضيفا إليها، أينما وجد إلى ذلك سبيلا، آراءه الشخصية وانطباعاته عن طبيعة الحكم الذي كان قائما وطريقة الأمير (الملك) عبدالله بن الحسين في إدارة دفة البلاد في تلك الفترة.

ولسنا هنا بصدد تقييم الكتاب أو كاتبه، ولو كان الأمر كذلك لكنا قد خصصنا كل مقدمتنا له، إلا أننا آثرنا أن نخصصها لسرد وقائع وأحداث سبقت ورافقت ثم تلت المرحلة التي ضمتها وتحدثت عنها صفحات الزركلي في كتابه، لنشير، ولو بشكل غير مباشر، أو من طرف خفي - كما يقولون - إلى أنه ليس كل ما يقال هو حقيقة ما وقع، ومرة أخرى لسنا هنا بصدد التقييم أو التقليل من شأن ما أورده الكاتب، وإنما نحن مهتمون بالإشارة إلى أن رجلا بمفرده، وإن كان في موقع مهم في الإدارة حينذاك، لا يمكن بحدود ما أطلع عليه من معلومات أن يؤرخ ويوثق ويطلق الأحكام على مرحلة بكاملها كان كل ما فيها من مجريات وأحداث يختلف بمنطقه عما هو جار في عالم اليوم من أساليب سياسية ومناهج حكم وإدارة وعلاقات دولية وغير ذلك من أسباب قيام وانتعاش وازدهار الدول والحكومات.

وحسنا فعل الزركلي إذ أشار في مقدمته للكتاب إلى أنه ربما يكون مصيبا فيما ذهب إليه وربما يكون مخطئا، بل وأحسن حينما قصر الكثير من صفحات كتابه على وصف الأحداث التي لا علاقة لها بالسياسة والحكم بل بطبيعة الأردن أرضا وناسا وحضارة، إذ أن ذلك أقرب إلى الإمتاع والإفادة من الغوص في مسالك قد يتيه في تشعباتها وأسرارها من هو ضليع في البحث في دهاليز السياسة والعوم في تياراتها المتلاطمة الأمواج.

عيسى الحسن



مُقَدِّمَة

أفضيت إلى قارئ «ما رأيت وما سمعت»[1] بخلاصة ما أتيح لي الاطلاع عليه في الديار الحجازية من خبر أو أثر. ووعدته بنشر ما شاهدته أو علمت به في خلال عامين أقمتهما بعمّان قاعدة «حكومة شرق الأردن» أو «حكومة شرقي الأردن» أو «عبر الأردن» أو «الشرق العربي» أو «حكومة الشرق العربية» أو غير ذلك من مختلف الأسماء والنعوت التي اعتادت أن تسمى بها حكومة هذه المنطقة الصغيرة!

وها أنا ذا أُلقي بين يدي القارئ ما وعدته به، راجياً أن أكون أصبت شاكلة الصواب فيه، وحسب العامل في هذه الحياة أن يتخذ من مناحيها هدفاً يصوّب إليه بصره، فإن رمى فأصاب أفلح وإن رمى فأخطأ أعذر، «ومُبلغ نفس عذرَها مثلُ مُنجح»!

القاهرة في: تموز (يوليو) 1925

خير الدين

---

(1) كتاب للمؤلف مطبوع.

من مكة إلى عمان

سبب الأوبة - يومان في القدس - ليلة في الصلت



دار الحديث عشية يوم الاثنين 8 جمادى الأولى 1339هـ/ 17 كانون الثاني 1921م بين ثلاثة هم: الأمير زيد أصغر أنجال الملك حسين، والسيد يوسف ياسين، وواضع هذا الكتاب، وقد جلسنا جميعاً لتناول الطعام. فقال الأمير زيد: لا أظن بمكة من الإخوان غيركما.. فقلت: وسموك! فضحك وقد أدرك ما أردت. ذلك لأن لفظ الإخوان يراد به في مكة غير ما اعتدنا أن نطلقه عليه في سواها، وما كان الأمير يريد إلا المعنى الثاني وهو الإخاء الحزبي الناشئ عن اشتراكنا في حزب «الاستقلال العربي» أما المكيون ولا سيما سكان القصر (قصر الملك حسين) فالإخوان في عُرفهم أتباع السلطان ابن السعود.

واستمر الحديث عن «الحزب» وأعضائه ومن بقي منهم في بلاد الشام ومن نزح، فقال الأمير: تُرى «مظهر الرسلان» من الحزب؟ فلم نستطع

النفي ولا الإثبات، ولكن مالَ بنا الوهم إلى ترجيح انتسابه إليه، فانطلق الأمير يوجه كلمات السخط إلى مظهر هذا، وأردنا الدفاع عنه، فأسكتتنا برقية لاسلكية تلقاها جلالة الملك (حسين) من ابنه الأمير عبدالله، ومصدرها معان، يقول فيها: «كتب إليّ مظهر الرسلان وكيل متصرف السلط[1] يحمِّلني تبعة إقامتي في معان قريباً من حدود شرق الأردن ويقول: إن القبائل أخذت تمتنع عن دفع الضرائب، ويدعوني إلى الابتعاد».

وجمنا.. وما كنا لنحسب مظهراً وهو من بقايا موظفي حكومة الشام العربية في تلك الديار، يجرؤ على أن يعترض عبدالله وهو المتقدم لنصرة البلاد وإنقاذها فيقف في سبيله، ثم ذهبنا إلى أن الكتاب لم يكتبه مظهر وإنما كتبه المندوب البريطاني في فلسطين وأكره مظهراً على إمضائه. وشفّ الحديث عن قلق يعانيه الملك من مقاومة مظهر لعبدالله، وكان الختام أن قال الأمير: لو صحّ عندنا أن مظهراً من أعضاء حزب الاستقلال لهانَ علينا إقناعه في العدول عن معارضة أخي..

وفي اليوم الثاني كان الحديث في سمع الملك حسين، واتفقنا على أن أقوم أنا ويوسف برحلة إلى شرق الأردن لنستعين بمن فيها من إخواننا على مظهر الرسلان إقناعاً أو إكراهاً.

---

(1) الصواب في اسم هذه البلدة هو «الصلت» وسيأتي الكلام عليها في مكان آخر.

وعلى هذا برحنا مكة، وهبطنا مصر، واتجهنا إلى فلسطين، فبلغنا القدس في الساعة الأولى بعد ظهر الأربعاء أول جمادى الثانية 1339 (9 شباط 1921).

* * *

كان أول من لقينا في القدس نبيه بك العظمة، ومنه علمنا أن الأمير عبدالله ما زال في معان ينتظر الفرصة المناسبة لدخول عمان.

وفي القدس عرفنا أن حكومة فلسطين البريطانية لم تتلقَّ حتى ذلك الحين أوامر من لندن في ما يجب أن تقابل به حركة عبدالله وأنصاره بل إنها كان يخيل إليها أن لعبدالله مندوباً في القدس هو نبيه بك.

يؤيد هذا أن ضابطاً عربياً عرض نفسه على حكومة فلسطين للخدمة في جيشها فسئل عن ماضيه في الجندية فانتسب إلى جيش الثورة، فأجيب بأن عبدالله في معان.. وله وكيل في القدس هو نبيه بك.

* * *

وهناك كان الأستاذ الشيخ كامل القصاب والأصدقاء عثمان قاسم وعوني القضماني ورمضان البعلبكي وشكري الطبع يتأهبون للسفر إلى عمان، فانخرطنا في زمرتهم، وركبنا عربتين يجرّ كلاً منهما بغلان، وما كانت السيارات يومئذ لتستطيع بلوغ عمان.

* * *

برحنا القدس صباح الجمعة 3 جمادى الثانية 1339 (11 شباط 1921) قبيل شروق الشمس وجهتنا الصلت. واجتزنا نهر الأردن قبل انتصاف النهار، وتخطينا نهر شعيب والشمس تغرب، ودخلنا الصلت بعد الساعة الثامنة مساءً، فالتمسنا فندقاً نأوي إليه، فإذا هي لا فندق فيها، وأرشدنا أحد أبنائها إلى منزل المتصرف فلم نتردد، وبتنا ليلتنا في دار صاحبنا مظهر الرسلان وكيل متصرف الصلت.

كنا قد عرفنا أن لا علاقة لمظهر بحزب الاستقلال، فلم نرَ أن نفاتحه في شأن كتابه إلى عبدالله، ولكن الحديث - وهو شجون، كما يقولون - اتصلت شعابه بالكتاب، فسألنا مظهراً سؤال العاتب عن إنذاره، فانتحل أعذاراً سمّاها إدارية، وظهرت لنا من كلامه مواربة دلّتنا على ضعف أوجدته فيه قوة من كان في تلك المقاطعة ومن سبق إليها. وكانوا قد خضدوا شوكته وتغلبوا على ما كان يبثه هو ومتبوعوه من فكرة صد الأمير عن دخولها.

❋ ❋ ❋

وأصبحنا يوم السبت متجهين إلى «عمان» حيث كان الشريف علي بن الحسين الحارثي يعمل مشتركاً مع الوطنيين لتمهيد السبل أمام الأمير عبدالله، فاستقبلنا قبل بلوغها قائم مقامها وقائد دركها وجمهور من الخيّالة والرجّالة، كانوا يهتفون بحياة العرب والاستقلال، وينشدون الأناشيد الوطنية التي كانت تعيد لنا ذكرى «النادي العربي» في دمشق وأيامه المحجلة الغر!

❋ ❋ ❋

لم تكن عمان في ذلك الحين أكثر من قرية، قليلة السكان، ضئيلة المباني، مظلمة السبل، لا يصل بينها وبين تاريخ مجدها إلا ما شخص من آثارها، ولا يدل على إمكان الحياة فيها غير توسطها بين قبائل بني صخر وبني حسن وعباد والعدوان، يردون عليها بين الفترة والفترة فيبيعون فيها بعض ما تنتجه ماشيتهم ويبتاعون منها ما يكتسون، فللتجارة فيها شبه سوق، ولولا ذلك لانفرد بسكناها جماعات من الشراكسة نزحوا إليها حوالي سنة 1290هـ كما انفردوا بكثير مما حولها من قرى ومزارع، هم أصحابها اليوم غير منازعين. ولكن ابتغاء الربح وطلب الكسب هما اللذان حملا إلى عمان تجاراً من دمشق ونابلس افتتحوا فيها حوانيت صغيرة فقصدها أهل الخيام والأكواخ من البداة الضاربين حولها والمقيمين في ما جاورها من القرى، فأصبحت ولها شيء من الشأن.

❋ ❋ ❋

دخلنا عمان قبيل ظهر السبت 4 جمادى الثانية 1339 وقصدنا منزل الشريف الحارثي، وهو فتى فيه رقة وأدب وشجاعة، عرفناه باسمه يوم كان في حملة الأمير فيصل قبل خروج الترك من الشام، ثم عرفناه في دمشق، وأخيراً في عمان. فأنس بنا وأنسنا به، وعلمنا منه أنه طليعة عبدالله، وأنه زار الصلت، وأن قلوب الناس معه فاستبشرنا خيراً.

❋ ❋ ❋

أحب هنا، والحديث عن الحارثي، أن أورد قصة كانت له في نهايتها يد، ولعلها لا تخلو من أثر تتركه في نفس القارئ ينبه إلى ما كان عليه أهل تلك المقاطعة، قبل حضور الأمير عبدالله.

قال لي صديقي المرحوم كامل البديري[1] يوماً وقد جلسنا في إحدى الخيام: إن وزارة «أمّ العَمَد» لأقوى والله من هذه التي ألّفها الفرنسيون في سورية.. فقلت: وما وزارة أم العمد؟ قال: تلك الوزارة ألفناها في قرية من قرى بني صخر اسمها أم العمد وقد عاشت أياماً.. فعجبت، فاسترسل يحدثني عنها، قال: نشأ خلافٌ بين بني جابر أصحاب مزرعة اليادودة ومثقال الفايز على أرض ادعى الأول أن الثاني اغتصبها ورفع أمره إلى حكومة الصلت، فطلبت محكمتها مثقالاً، فامتنع، فرأى وكيل المعتمد البريطاني ومفتش درك شرق الأردن بيك بك أن الفرصة سانحة لإذلال بني صخر في شخص شيخهم، فألحّ بوجوب جلبه وساعده على فكرته وكيل متصرف الصلت، ثم زحف بيك بقوة إلى اليادودة القريبة من أم العمد (قرية مثقال) ورأى وهناً فيمن معه فاضطر أن يعدل عن فكرة الضرب، وذهب منفرداً إلى أم العمد، فحجزه مثقال في مخزن التبن، وأعلنّا استقلالنا عن عمان!

(1) شاب متعلم ناهض من أعيان القدس، أصدر جريدة «الصباح» وقتل سنة 1341هـ بين معان ونجد في طريقه إلى الرياض.

قلت: وماذا صنعتم ببيك؟ فقال: لم نسئ معاملته ولكن عبداً من عبيد مثقال أراد أن يركب فرس بيك فأخرجه من مخزن التبن وأمره أن يساعده على الركوب لأنه لم يمارس ركوب السرج الإفرنجي! قلت: وهل أذعن بيك؟ قال: إي والله ونحن نشهد ونضحك! قلت: وهل لبث طويلاً في هذا الأسر؟ قال: يوماً واحداً، وقد توسّط الحارثي في الصلح، فأطلقه مثقال.

* * *

مكثنا في عمان أياماً جاء في خلالها أمين بك التميمي وعوني بك عبد الهادي ورجال آخرون، وكأن معتمدي فلسطين البريطانيين في شرق الأردن تلقوا «التعليمات» من مراجعهم فكفوا عن معارضة الأمير عبدالله في دخوله، فكتب الشريف الحارثي إلى أميره يدعوه، وداخل الأمير بعض الشك فتأنى، فعقد الوطنيون اجتماعاً في عمان قرروا فيه إيفاد أربعة إلى معان هم: الشيخ كامل القصاب، وأمين بك التميمي، وعوني بك القضماني، وعوني بك عبد الهادي، لإزالة ما علق في نفس الأمير من الريبة. وقد تعهد مثقال الفايز (الذي أصبح بعد ذلك مثقال باشا) بأن يحمي سمو الأمير من كل اعتداء، وأقسم فريق من زعماء البلاد كانوا قد توافدوا على عمان بأنهم يدافعون عن الأمير كل ما فيهم من قوة.

وبينما الوفد مزمع أن يقصد معاناً أقبل مظهر بك الرسلان من الصلت فانضم إليه - متطوعاً - وذهب الخمسة مساء الأربعاء (23 شباط 1921) على أن يعودوا مع الأمير صباح السبت.

الأمير في معان

تاريخ وصوله - الأقوال في سبب قدومه - حديثه مع أبي تايه - أقواله للوطنيين - جريدته - منشوره العام - قدومه إلى عمان.



وصل الأمير عبدالله إلى معان، مقبلاً من مكة عن طريق المدينة، يوم 11 ربيع الأول 1339 (21 نوفمبر 1920) تصحبه قوة من بدو الحجاز، فضرب الخيام فيها على مقربة من محطة السكة الحجازية، بينه وبين المدينة المنورة إلى الجنوب 838 كيلومتراً، وبينه وبين دمشق إلى الشمال 465 كيلومتراً، وهو على بُعد 72 كيلومتراً من عقبة أيلة إحدى موانئ البحر الأحمر. وهرع أشياخ القبائل للسلام عليه، وذهب الناس مذاهب في تعليل هذه الرحلة وأسبابها، ولم يقتصر غموض ذلك على أهل البادية بل تعداهم إلى أهل الحواضر حتى اضطرت حكومة فلسطين البريطانية أن تذيع منشوراً في منتصف كانون الأول 1920 هذا نصه:

«تروج إشاعات في شرقي الأردن بأن قوة عربية تقصد مهاجمة الفرنسيين. وأيضاً تروج إشاعات بأنه إذا حدثت هذه الحركات فالحكومات البريطانية تستحسنها. فليكن معلوماً بأن هذه الإشاعات كذب وبهتان وإذا حدثت هذه الحركات فالحكومة البريطانية بالعكس لا تستحسنها ولا توافق عليها مطلقاً بل تحتقر الذين يشتركون فيها..» .

ونشرت جريدة (يقظة العرب) رسالة بعث بها إليها كاتب من القاهرة مؤرخة في 21/ 10/ 1920 جاء فيها ما نصه:

«.. أفيدكم بصورة مختصرة الآن أن سمو الأمير عبدالله الذي عرض عليه عرش العراق فرفضه ثلاثاً.. لأسباب معلومة.. يجهز اليوم حملة حجازية جديدة كبيرة وينظمها وسيقودها بنفسه إلى سورية لتوحيد الحركات القائمة في حوران وجبل الدروز على قدم وساق، وجعلها حركة منظمة قانونية وإلباسها ثوبها السياسي الحقيقي، لأن أكثر الدروز والحوارنة متفقون اليوم على مقاومة الغاصبين».

واستفحل الخطب حتى اعتقد الفرنسيون أن الجماعات التي أخذت تجتمع في شرق الأردن لاستقبال الأمير عبدالله إنما هي عصابات تتألف للقيام بحركات وثورات فاضطرت السلطة الفرنسية في بيروت أن تسكن الأفكار ببرقية وردت عليها من رئيس وزارة باريس أشارت إليها جريدة المقطم في 27 ديسمبر 1920 بقولها:

«ذكرنا في الأسبوع الماضي أن سمو الأمير عبدالله مقيم في معان ثم علمنا بعد ذلك أنه يزمع السفر شمالاً إلى عمان. وقد اطلعنا في صحف دمشق على تلغراف أرسلته القومسيرية العليا في بيروت إلى البعثة الفرنسوية في دمشق وفيه أن القومسيرية تلقت تلغرافاً من المسيو لايج رئيس الوزارة الفرنسوية جاء فيه أن اللورد هردنج سفير بريطانيا بباريس أبلغه أن اللورد كرزن أفهم فيصلاً أن الحكومة البريطانية تنظر بعين الاستياء إلى الحوادث التي تقع شرقي الأردن في منطقة عمان ولا تصبر على تأليف العصابات التي تؤلف في تلك الجهات وطلب من الأمير فيصل أن يرسل تلغرافاً بهذا المعنى إلى جلالة والده الملك حسين».

هذا بعض ما تناقله الناس والمراجع السياسية في الغاية التي يعمل لها الأمير عبدالله وهو في معان. وهناك من ذهب إلى غير ذلك.. كأحد مكاتبي «الأهرام» في سورية فقد جاء في رسالة له تاريخها 4 نوفمبر سنة 1920 ما نصه:

«شاع وصول الأمير عبدالله إلى المدينة. وعرفنا من الثقات أن سموه آتٍ لإصلاح الحال هناك.. لا لأمر آخر كما يقول الرجعيون».. !

* * *

وخلاصة القول إن قدوم الأمير عبدالله إلى معان على أثر عصيان حوران وقتلها اثنين من وزراء حكومة الشام هما عبد الرحمن بك اليوسف

وعلاء الدين بك الدروبي، كان له أثره في النفوس، بل كان مدعاة لحومان الشكوك الكثيرة حوله.

* * *

كتبت من عمان إلى صديق لي في معان أسأله عما هناك من حوادث وأخبار، فتلقيت كتاباً منه أثبته هنا بحروفه، قال:

«استغرق سفر الأمير عبدالله من المدينة المنورة إلى معان مدة سبعة وعشرين يوماً، ومنشأ بعض هذا التأخر حاجة القطار إلى الوقود، وبعضه نشأ عن ميل سموه إلى الراحة إذ كان يأمر بتوقيف القطار ليريح أعصابه من صوت الآلات واهتزاز العجلات».

«وكان ينتظره في معان من السوريين غالب الشعلان وفؤاد سليم ومحمد مريود ومنير عبد الهادي قائمقام معان المنصوب بأمر جلالة الملك حسين خلفاً لعبد السلام كمال قائمقامها السابق الذي كان تابعاً لحكومة دمشق.

وقدم مع سمو الأمير مرافقه القائد حامد الوادي وثلاثة ضباط عراقيين أحدهم اسمه سعيد الكلاك. ومن الأشراف شاكر بن زيد وعلي بن الحسين الحارثي وأخوه محسن - وهما عندكم بعمان الآن - ومن غير الأشراف الشيخ مرزوق الخيمي وصنداح خادم الملك فيصل سابقاً، ونفر من العبيد والخدم البيض وعدد من البدو جلّهم من عشيرة عتيبة شيخهم

يقال له راجي، وشيخ من أهل شنقيط كان مجاوراً في المدينة المنورة[1]، وكاتب خاص لسموه اسمه محمد علي خويقير، وآخرون.

أبدى سمو الأمير ساعة وصوله رغبة في أن يقابل زعماء الجوار من البدو وشيوخ معان ووادي موسى، وأمر أن يكتب إلى شيوخ الشمال برغبته هذه، وقد لبّى الدعوة كثيرون، وقدم من الشمال أحمد مريود ومعه مثقال الفايز وشيخ العيسى وحديثة الخريشة وغيرهم من رجال البدو. وقد أوعز أيضاً بأن يكتب عن لسانه إلى كل ذي رئاسة أو نفوذ من أهل البلاد الموالين للقضية العربية بأن يقدموا عليه ليفاوضهم، وأرسلت الكتب وأكثرها مذيل بإمضائه. وبلغني الساعة أن مشايخ الكرك والشوبك ووادي موسى والبلقاء وعجلون يصلون اليوم أو غداً.

سمو الأمير متشوق للعمل.. وهو لا يفتر عن التصريح أمام المحيطين به من رجال البلاد ولا سيما مفكري الحضريين منهم بأنه ما جاء إلا منقذاً لسورية وما حولها. وهو كثير البشاشة والأنس لا يحبس خاطراً يمر في مخيلته، وأكثر حديثه عن الثورة ووجوب التضحية ولعل سموه مستند إلى قوة عظيمة هو واثق منها وثوقاً لا يدع ضرورة للتوقي والاحتراس أو كتمان ما هو عازم عليه.

وقد اجتمع أمس عند سموه كثير من السوريين، وكنت في جملتهم، فعرضوا عليه لزوم البدء بتنظيم قوة عسكرية تكون نواة للحركة في

---

(1) هو الشيخ محمد الخضر الشنقيطي، عارف بالفقه والحديث، وله مشاركة في الأدب.

المستقبل، ولم يكتموا عن سموه أن قوة الاحتلال في سورية قوامها الفن والنظام ولا يمكن أن تثبت أمامها الفوضى. وبحث أحد العارفين بالشؤون العسكرية فيما تحتاج إليه الحركة المباركة من المال بادئ ذي بدء لتأسيس التشكيلات على قواعد ثابتة».

وبينما كان الأمير متحمساً يذكر الثورة بكل ما فيه من قوة النطق، إذا به قد عاد فصرّح لنا بأن كل ما يملكه لا يتجاوز ثلاثة آلاف جنيه.. وقال إنه سيقبض أربعة آلاف جنيه أخرى تأتيه بعد أيام عن طريق العقبة.. فكيف يمكن التأليف بين ترديده أنه آتٍ للقيام بحركة كبيرة وبين تصريحه بقلة ما معه من المال وهو أساس كل عمل؟

ولم يكتم حاجته إلى المال عن شيوخ البدو أيضاً. وقد ثارت الحماسة في صدر الشيخ عودة أبي تايه فتبرع للثورة بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه من ماله وقدّم لمعية سمو الأمير مقادير كبيرة من السمن. والذي تأكدته أن سموه بعد أن استلم المبلغ من أبي تايه قال له: إنني أقبل يا شيخ عودة أن أتناول منك هذا المال وأشكرك على شهامتك وإنما أحب أن يكون قرضاً لك عندي أرده عليك في سورية.. فأجاب الشيخ عودة: يا سيدي لحم أكتافنا من خيركم، فالمال منكم ولكم، والتوفيق على الله». اهـ.

وحمل إليّ البريد من معان عدداً من جريدة صغيرة كانت تطبع على «البالوظة» في خيام الأمير، اسمها «الحق يعلو» وقد كتب تحت الاسم «جريدة

عربية ثوروية تصدر مرة في الأسبوع» رأيت فيها أبياتاً من الشعر نظمها الأمير عبدالله متأففاً من معان وإقامته فيها، ومطلع هذه الأبيات:

ما لي وما لـصياح الـسلك في بلـد   لا الـسهل يـشبهه كـلا ولا الجبـل

وهو يعني بالسلك «سلك التلغراف» وقد أضعت ذلك العدد المنشورة فيه الأبيات، ولولا ذلك لما فاتني أن أتحف بها القارئ..

وظفرت بعدد آخر من الجريدة نفسها صدر يوم قدوم الأمير إلى عمان، وهو العدد الخامس منها ولا يزال عندي - والحمد لله - وهو مفتتح بمقالة أولى عنوانها «تشريف ركاب نائب جلالة الملك المعظم وبطل الأمة العربية سمو الأمير عبدالله» وفي آخر هذا العدد خبر أرى أن أعيد نشره هنا، قالت الجريدة الفريدة:

«لا تزال الوفود تؤم المقر لعرض إخلاصهم بالنيابة عنهم وعن البلاد إلى منقذ سورية ومحررها.. سمو الأمير عبدالله نائب جلالة الملك ولتقديم طاعتهم..» .

وهذه الجريدة لا تكاد تنعت الأمير بغير لقب الجلالة فقد جاء في العدد نفسه: «وفاه جلالته بخطاب.. وألقي على جلالته.. وقد أنعم جلالته.. وبقي جلالته.. وبين يدي جلالته.. إلخ ».

أما عنوان إدارة الجريدة فهو «المقر» أي «مقر سمو الأمير».

والمراد بلقب «نائب جلالة الملك» ما كان يتداول في معان - ثم في عمان - من أنه جاء لينوب عن أخيه الملك فيصل في إنقاذ سورية.

* * *

ولم يكتف الأمير، وهو في معان، بالكتابة إلى الزعماء والضباط وغيرهم من الوطنيين، ودعوتهم إلى السير إلى معان لمقابلته ومذاكرته، بل زاد على ذلك نشره بياناً عاماً لأفراد الأمة كافة، موقعاً بإمضائه، نثبته في ما يلي بنصه:

إلى كافة إخواننا السوريين:

سلام، لا أجد في نفسي أدنى ريب أو أقل شبهة في أن أبناء الوطن السوري سيتلقون بياناتنا التالية بقلوب ملؤها التصديق والإخلاص. فليعلم أبناء سوريا أن ما أصابهم من الضياع المحزن من اعتداء رجال الاستعمار الفرنسي على وطنهم ومبادرتهم بسرعة فظيعة غريبة لهدم عرشهم في أول سعيهم لتشكيل حكومتهم التي وضعت أساسها على سياسة الولاء والصداقة لكل الأمم على الإطلاق قد أثر على حواس كل عربي على وجه الأرض. وفي الوقت نفسه نعلم علماً يقينا أن أبناء سوريا الكرام هم من جملة المفاخر العربية وركن من أركان الجامعة القحطانية والعدنانية لا يرضون بالذل ولا ينقادون إلى من جاء لإهانتهم في عقر دارهم وأنهم لا يعذرون أبناء جنسهم إذا منعوا عنهم يد المعاونة والمدد في مثل هذه الآونة الخطيرة.

كل عربي يعلم أنكم يا أبناء سوريا تستنصرون وتستثيرون حميته ليأتيكم مسرعاً ملبياً مقبلاً غير مدبر، ومن حيث قد توالت علينا الدعوات وصخت آذاننا الصرخات فها أنا ذا قد أتيت مع أول من لبّاكم لنشارككم في شرف دفاعكم لطرد المعتدين عن أوطانكم بقلوب ذات حمية وسيوف عدنانية هاشمية، ليعلم من أراد إهانتكم وابتزاز أموالكم وإهانة علمكم واستصغار كبرائكم. إن العرب كالجسم الواحد إذا شكا طرف منه اشتكى كل الجسم، وإن الله سبحانه وتعالى لم يترك الأمة سدى بداد متفرقة مفتونة بالباطل مغرورة بالكذب وواهن القول.

ليعلم أبناء سوريا أن هؤلاء المعتدين قد عدوكم من جملة من أدخلوه تحت عار استعمارهم ووضعوهم في مصاف الزنوج والبرابرة وظنوا أنكم لستم من ذوي الغيرات وأصحاب الحميات.

كيف ترضون بأن تكون العاصمة الأموية مستعمرة فرنسية. إن رضيتم بذلك فالجزيرة لا ترضى وستأتيكم غضبى، وإن غايتنا الوحيدة هي كما يعلم الله نصرتكم وإجلاء المعتدين عنكم. وها أنا ذا أقول ولا حرج بأنني قد قبلت تجديد بيعة مليككم فيصل الأول عن الأكثرية الغالبة التي جددت تلك البيعة على يدي وإني سأعود، إن إبقاني الله حياً، إلى وطني يوم نزوح عدوكم من بلادكم، وعلى هذا اليمين بالشرف وأمركم حينئذ لكم وبلادكم بين يديكم، متّعكم الله فيها بالعز والسؤدد والرفاهية والمجد.

أتينا لبذل المهج دونكم لا لتخريب البلاد كما يفتري علينا وكفانا دليلاً صدق بلائنا في الله والجنسية والوطن وتعريض النفس والأخطار[1] والمحن وما وضعه عليكم ذلك المستعمر من الضمانات المثقلة إثر اعتدائه عليكم لدليل يحتاج إلى دليل[2].

أتاكم ذلك المستعمر ليسلبكم النعم الثلاث: الإيمان والحرية والذكورية.

أتاكم ليسترقكم فتكونوا غير أحرار، أتاكم ذلك المستعمر ليأخذ منكم أسلحتكم فتكونوا غير ذكور، أتاكم ليخيفكم بقوته وينسيكم أن الله بالمرصاد فتكونوا غير مؤمنين. لذا ندعوكم للحياة والاجتماع والذب عن الوطن وعدم الإصغاء لكل دسيسة تفل عزمكم وتبدد جمعيتكم وأستعين الله لي ولكم فيما نحن بصدده.

حرر في: 25 ربيع أول سنة 1339هـ.

الأمير عبدالله

وقد وزع عدد كبير من هذا المنشور في سورية وفلسطين وحوران وشرق الأردن، وكانت من نتائجه حوادث أفدحها خطباً حادثة «الزوية»[3]

---

(1) كذا في الأصل ولعلها «للأخطار».
(2) كذا في الأصل أيضاً.
(3) مديرية تابعة للقنيطرة.

التي أثر في أهلها منشور الأمير وما تبعه من كتب خاصة بعث بها يضرب لهم فيها مواعيد سيره إليهم ويستفز حميتهم ويدعوهم إلى الثورة.

* * *

وصل وفدنا المرسل من عمان، إلى معان، والمسافة بينهما عشر ساعات في القطار، وقابل أعضاؤه الأمير عبدالله، فتلقاهم ببشاشته وأنسه وحدّثهم بما كان يدور على لسانه، وكان فيهم مظهر الرسلان، فعرف أن القوم راضون عنه، ولم يشك في أن مظهراً لم يأت مندفعاً بل جاء مدفوعاً.. ولم يتردد بعد ذلك في إزماع السير إلى الأمام.

* * *

وبينما آية النهار تضاءل بين يدي آية الليل، وقد غابت الشمس وبدأ الظلام ينشر سرادقه، كان الأمير يتقدم إلى القطار وقد اصطف من معه من الجند يحيونه التحية العسكرية، وتقدم لوداعه من كان قد لحق به من ضباط سورية وفلسطين وشرق الأردن، فخطبهم قائلاً[1]:

خطبة الأمير عبدالله في محطة معان:

«لعدم سعة القطارات اضطررنا أن نكون السابقين وإن شاء الله تعالى قريباً تلحقون بنا.

---

(1) ننقل هذه الخطبة بنصها الرشيق عن جريدته الثورية «الحق يعلو» عدد 27 جمادى الثانية 1339هـ.

كلكم يعلم ما حلّ بالبلاد وإننا نرى دماءنا وأموالنا رخيصة في سبيل الوطن وتخليصه. ولقد قطعتم الفيافي والقفار والتحقتم بنا للذب عن البلاد والأعراض. وقد كان سعيكم سعياً مشكورا وعملاً مبروراً بارك الله فيكم وحيا شعوركم الصادق.

إنني الآن مودعكم وأود أن لا أرى بينكم من يعتزي إلى إقليمه الجغرافي، بل أحب أن أرى كلاً منكم ينتسب إلى تلك الجزيرة التي نشأنا فيها وخرجنا منها، والبلاد العربية كافة هي بلاد كل عربي.

إنني ذاهب الآن، وأرغب أن تواظبوا على أعمالكم، وأحب أن لا أسمع بأن أحدكم تقاعس عن واجبه إذ الواجب لم ينته ولن ينتهي.. وإن شاء الله تعالى قريباً نجتمع بكم ونرجوه أن يوفقنا لما فيه خدمة الأمة والسلام».

* * *

ووصفت جريدته الرسمية «الثورية» رحلته من معان إلى عمان بما خلاصته:

- ركب القطار عشية يوم الاثنين.

- تحرك القطار صباح الثلاثاء ووصل إلى القطرانة في منتصف الساعة الخامسة غروبية.

- كانت وفود الكرك والطفيلة ومشايخه بانتظاره وصدرت إرادته بمقابلتهم!

- ألقى بين يديه الشيخ محمد المعايطة قصيدة بدوية فأنعم عليه بخنجر ذهبي وفروة.

- تحرك القطار من الطفيلة الساعة الخامسة.

- وصل إلى محطة الجيزة الساعة السابعة.

- كانت مشايخ الصخور والعجارمة تنتظره للسلام عليه.

- صدرت إرادته بالبقاء تلك الليلة في الجيزة طلباً للراحة من وعثاء السفر.

- تحرك به القطار في الساعة الثانية من صباح الأربعاء فوصل إلى عمان في الساعة الرابعة.



للتاريخ

شيء عن معان – الحجازية والشامية – وعشائرهما



قبل الانتقال من الكلام عن رحلة الأمير من معان إلى عمان، أرى أن أسوق للقارئ – وقد يكون من المولعين بالتاريخ – شيئاً عن «معان» في حاضرها. أما ماضيها فمن أراد الإحاطة به أمكنه الرجوع إلى ما كتبه أسلافنا الأقدمون عن البلدان، وما ذلك بعسير.

معان – قرية، أو بلدة صغيرة، شاخصة في الجانب الغربي من الخط الحجازي، تبعد عن المحطة نحو ثلاثة كيلومترات، يكتنفها من جهتيها الجنوبية والشرقية وادٍ يسيل فيه ماء الشتاء، وعلى أطراف هذا الوادي بساتين معان ومزارعها التي تمتد مسيرة نصف ساعة. وأبنية القرية كلها من اللبن، يشرب أهلها من آبار لا يزيد عمق البئر منها عن أربعة أمتار، ولأكثر أبنيتها الحديثة حدائق صغيرة يسمونها «قصائل» والواحدة «قصيلة» ماؤها عذب وهواؤها نقي جاف، وفيها عين جارية تسمى «عين سويلم».

وهناك قريتان تعرف كل منهما باسم «معان» إحداهما التي أشرنا إليها وهي تسمى اليوم «معان الحجازية» والثانية «معان الشامية». وهذه تبعد عن الأولى نحو ثلاثة كيلومترات، مترفعة على قمة جبل يحوطها من غربها وشمالها الشرقي وادٍ يسمى «وادي المغارة». وعلى جانبيه مزارعها وهي أكثر من مزارع معان الحجازية.

ينقسم أهلها إلى أربع عشائر، هي «عيال الحصان» و«الخورة» و«المحاميد» و «القرامصة» ومناخها أفضل من مناخ الأولى لارتفاعها، يكثر فيها الرمان والدراقن. ويغلب على أهل القريتين الفقر لقلة حاصلاتهم ومحْل أراضيهم وهم أقرب إلى الحضارة منهم إلى البداوة ولكل عشيرة دار ضيافة هي ناديهم الذي يجتمعون فيه ويسمرون.

وأهل معان الحجازية أربع عشائر أيضاً هي: «الكراشين» و «عيال أم خطاب» و «الفناطسة» و «اليزابعة».

وليس في هاتين القريتين من الآثار القديمة ما هو أهل للذكر، إلا أنقاض قرية صغيرة في الجهة الشرقية فيها بركة ماء مستطيلة الشكل ضخمة البناء طولها نحو أربعين متراً وعرضها ثلاثون، وعمقها عشرة أمتار.

ولفظ معان يطلق اليوم على جميع أراضي الشراة، ومنها قرى كثيرة أكبرها «أذرح» و «الجرباء». وفي كلتيهما أنقاض أبنية وطواحين كثيرة وبقايا سور قديم متهدم. وعلى مقربة من «الجرباء» مكان مرتفع يسمونه «قصر الصحابة».

ومن قرى معان «ملقان» وهي في الجهة الشمالية الغربية وفيها أنقاض بيوت وطواحين. و «وادي العرجاء» وهي خربة قديمة العهد. و «البسطة» على طريق وادي موسى و«إيل الكبيرة» و«إيل الصغيرة» و«الدرباء» و«الصدقة» و «قرين» و «الدلاغة» و «غرندل» و «الحياض» و «الرميل» - وأكثر هذه القرى دارس لا مكان فيه.

وفي معان الحجازية دار حكومة وثكنة عسكرية وبناء مدرسة أميرية واسعة كان عودة أبو تايه قد احتلها وأنشأ فوقها غرفاً وجعلها مسكناً لأهله ومستودعاً للذخائر. وفيها مسجدان.

أما معان الشامية ففيها مدرسة ومسجد مهملان وثكنة قديمة هدمها الترك في أواخر أيامهم للاستفادة من أخشابها في تسيير القطار، فلم يبقَ مها غير جدرانها.

وتقيم في أطراف معان عشائر الحويطات وهي تنقسم إلى فرق متعددة لكل فرقة شيخ تنقاد إليه. ولها جميعاً شيخ مشايخ ينتخب غالباً من أبناء «جازي» أحد مشايخها الأقدمين.

ومن فرق الحويطات «المطالقة» وهم من سلالة «جازي» وشيخهم «حمد بن جازي» و «العودات» وشيخهم «نهار العودات» و «الذيابات» وشيخهم «ضيف الله بن صالح» و«الدراوشة» وشيخهم دحيلان الدراوشة، و «العطون» وشيخهم عودة العطون، و «النواصرة» و «المراعية» وشيخهما

دبور الرصاعي، و«النعيمات» وشيخهم علي بن خلف، و«السميحين» وشيخهم أبو سميح، و«المصبحين» وشيخهم عودة بن مصبح، و«الفريجات» وشيخهم محمد بن دحيلان، و «الركيبات» وشيخهم أبو ركيبة، و «ولد سليمان» وشيخهم صباح أبو نوير، و «الدمانية» وشيخهم هويمل بن العاطل، و «الفتة» وشيخهم أبو فتة، ولا يتجاوز عدد رجالهم جميعاً أربعة آلاف مقاتل. وهم إذا نشبت الحرب بينهم وبين عشائر غريبة عن منطقتهم ينقسمون إلى فرقتين إحداهما فرقة «ابن جازي» والثانية فرقة «عودة أبي تايه» ولهم في هذا اصطلاح لا بأس بإيراده، ذلك أنهم يسمون كل فرقة من هاتين «عِلْما» - بكسر العين وسكون اللام - ويريدون بالعِلْم صف الحرب. ولكل عِلْم «عليم» وهو كالقائد العام لعِلْمه (أي فرقته) إذا أشار بالإغارة أغار علمه وإن أشار بالصلح كان الصلح.

أما العشائر التي تدخل في «عِلْم» ابن جازي، من الحويطات، فهي: المطالقة والدراوشة، والدمانية، والعودات، والذيابات، والنعيمات، والمراعية، والعطون والهدبان.

وأما التي تدخل في «عِلْم» أبي تايه، فهي: الفريجات، والنواصرة، والركيبات، والمسيحين، والمصبحين، والفتة.

وأكثر عشائر معان عدداً الركيبات. وبين هذه العشائر أصحاب فلاحة وزراعة كالنعيمات والمراعية وهما تقطنان أراضي الشراة وتقتنيان الإبل والمواشي وتغزوان كغيرهما إلا أنهما لا تبعدان المدى.

والرحالة من هذه العشائر تنزل - إذا كان الفصل صيفاً - في جوار معان وأراضي الشراة والكرك والطفيلة والشوبك ووادي موسى. وتتحول في الشتاء إلى الحفير وباير ووادي السرحان والغور. وكلها تغزو وتغزى وتحمي اللاجئ وتقري الضيف، وقد رزقت نصيباً وافراً من الشجاعة فاقت به غيرها من أعراب الجنوب.

* * *

ومن النواحي المرتبطة بقضاء معان ناحية «الشوبك» وهي قلعة في ذروة جبل شامخ، لا تدخل إلا من طريق واحد، تبعد عن معان مسيرة تسع ساعات إلى الشمال. بناؤها مستطيل الشكل، ذات أبراج عالية ضخمة البنيان لم يزل أكثرها ماثلاً للعيان في جهتيها الشمالية والجنوبية.

وفي أعالي الأبراج كتابة قديمة في مواضع مختلفة، لا تقرأ لارتفاعها. وفي القلعة حجر مربع مكتوب عليه (قد أمر بإنشاء هذه القلعة حسام الدين لاجين) وتاريخ الكتابة غير مقروء. وفي الجانب الجنوبي من هذه القلعة بئر ينحدر إليها بسرداب ذي درجات عرضه نحو 150 سنتيمتراً وارتفاعه فوق ذلك، يلتوي بطريقة هندسية إلى أن يتصل بقعر البئر، يسهل عبوره إلا أنه مظلم ولا منفذ له غير مدخله. وفي القعر بركتان مساحتها أربعة أمتار مربعة، ينصبّ فيهما ماء من ينبوع يتفجر من أعلاهما ثم يتسرب في داخل الأرض.

وأهالي الشوبك أربع فصائل: الهباهبة، والملاحيم، والطورة، والرفايعة. ولكل فصيلة قرية تسكنها ومزارع تستغلها. وفيهم من يسكن بيوت الشعر. وهم لا يقتنون الإبل.

* * *

وإلى الجنوب الغربي من قلعة الشوبك قرية «نجل» وهي قرية قديمة فيها ماء غزير يجري في واديها، وعلى مقربة منها أثر بالٍ يسمونه «قصر الدوسق».

* * *

وأشهر القرى التابعة لمعان «وادي موسى» بل هو أشهر ما هنالك من بلدان وأماكن، لكثرة ما فيه من قديم الآثار، وقد كتب الإفرنج كثيراً عنه. وقريته تبعد عن معان مسيرة سبع ساعات إلى الغرب، وطريقها سهل إلا منتهاه ففيه شيء من الوعورة. وهي الآن قرية صغيرة فيها نحو ثلاثين داراً في سفح جبل تحوطها بساتين ومزارع، وأهلها ثلاث فصائل: الفرجات، والسعادنة، والعمر. وهم فقراء فقراً مدقعاً يسكنون بيوت الشعر. وفي هذه القرية ينابيع كثيرة أشهرها «عين موسى».

أما آثارها فلم يُتح لي أن أراها فأصفها، ولم أرَ أن أعتمد في وصفها على النقل عمن شهدها، غير أن هذا لا يمنعني من أن أشير إلى ما ذكر لي عن ملعبها الكبير من أنه أفخم من ملعب عمان، وقصرها الصخري الذي يسمونه

اليوم «سراي فرعون» وما هنالك من تماثيل أكثرها منقوش على الصخور، وأن بينها تمثال فتاة تحمل في يدها وردة، إلى غير ذلك مما تركه الأولون عبرة للآخرين.

* * *

أظنني أتعبت القارئ في إيرادي له ما اشتمل عليه في هذا الفصل من أسماء ونعوت وتقاسيم، ولكن ما الحيلة وقد عانيت في استقصائها والحصول عليها الأمرّين، أأهملها أم أثبتها؟ بل إثباتها أولى وأفضل..

* * *

وكنت أحب أن لا تفوتني هنا تسمية شاب مهذب، من أهالي تلك الأنحاء، أفادني الرجوع إليه في استيضاح بعض ما ذكرت عن معان وأطرافها ولكني خشيت أن يتهم بغير ذلك، فيساء إليه وهو بريء.



الأمير في عمان



هبط الأمير عبدالله مدينة عمان قبل ظهر الأربعاء 22 جمادى الثانية 1339هـ (2 مارس 1921م) واستقبله في المحطة جمهور كبير من أهل عمان وغيرها، يهتفون ويحيون، واجتاز الأمير ومن معه المسافة بين المحطة والبلدة على الجياد، فنزل في دار رئيس بلديتها وتقدم الناس للسلام عليه مستبشرين متفائلين خيراً.

* * *

وعصارى يوم الخميس احتشد في ساحة عمان، أمام ملعبها التاريخي ألوف من الناس للاحتفال بالأمير القادم وجلس الأمير على كرسي عالٍ، واصطفّ حوله الناس وأقربهم منه الشريف شاكر بن زيد، فتليت خطب وقصائد اعتاد الناس أن يسمعوا أشباهها في مثل هذه المواقف، وكان خطيب الحفلة الأول الأستاذ الشيخ كامل القصاب المعروف بجرأته وصراحته،

فقدم مقدمات جعل نتيجتها وجوب تبادل العهد بين الأمير والحضور، ثم عاهد الأمير بلسان الجمع المحتشد على تأييده والالتفاف حوله ما حافظ على المصلحة القومية وسعى إليها.

ثم طلب منه العهد بصوته الجهوري قائلا: لقد عاهدتك الأمة يا سمو الأمير، وهي تنتظر ما ستعاهدها عليه. فوعد الأمير بأن تكون الكلمة التي سيقولها هي الختام..

وبعد أن استفرغ الخطباء ما عندهم من منظور ومنثور، وقف الأمير، وتلا الهتاف سكون وإصغاء، فقال:

كلمة الأمير عبدالله[1]:

«سروركم بنا وترحيبكم لنا واجتماعكم علينا أمر لا يستغرب، أنتم لنا ونحن لكم، وإنني لم أغفل كلمة مما جاء بها خطباؤكم، ووطنيتكم أمر لا يخفى على الكون كله، وضالّتكم المنشودة هي عبارة عن حقكم الذي تطلبونه، ويمكننا أن نقول بأن الله لا يترككم هكذا. مليككم[2] لا يزال يجاهد لأجل مجدكم وبلادكم وله في الغرب أصحاب لهم نفوذ وكلمة يسعون في تحقيق أمنيته وأمنيتكم، وآمالي أكيدة بأنه لا يرجع خائباً، وسروري من حسياتكم القومية والحماس عظيم جداً وذلك مما يوجب

---

(1) نقلنا هذه الخطبة بنصها الفائق عن جريدته الثورية الرسمية التي سبقت إشارتنا إليها.

(2) يعني الملك فيصلاً.

الافتخار، وإني أقول لكم بأنه إذا جاء الوقت لاستعمال ما تستعمله الأمم من القوة عند ذلك تثبتون بأنكم وجدتم ضعفاء ولكن لا تموتون بلا شرف. فلا أريد منكم إلا السمع والطاعة فإن أمرتم بالتقدم تتقدمون أو بالتأخر تتأخرون فإن الآمال بيد مليككم.

بهذا الموقف يريد الشيخ كامل مني العهد. وما جاء بي إلا حميتي وما تحمّله والدي من العبء الثقيل، فالواجب عليّ أفهمه ولو كان لي سبعون نفساً بذلتها في سبيل الأمة لما عددت نفسي أني فعلت شيئاً، كونوا على راحة تامة بأننا نبذل الأنفس والأموال لأجل الوطن ونطلب السمع والطاعة وعدم الشك والريب مني.

كثير منكم جاء لاستقبالنا. أشكركم، ووفقنا الله جميعاً لما فيه خير الأمة والسلام».

* * *

تفرق الناس، وحديثهم عهد الأمير، وبات سموه تلك الليلة في محطة عمان، حيث فرش له بيت كان يسكنه أحد موظفي السكة الحديدية.

* * *

وأصبحت البلاد بعد وصول الأمير عبدالله إلى عمان وسكناه المحطة، في حال ربما صحت تسميتها بالفترة، وإن كان الناس قد سبقوا إلى إطلاق

هذا اللفظ - أيام ظهور الأنبياء وقيامهم بإصلاح الجماعات - على ما بين النبيين من عصور وأعوام.

أما وقد مضى زمن وازع النبوات وقام مقامه وازع الحكومات فلنا أن نسمي ما بين سقوط حكومة وقيام أخرى فترة، لفقدان من يرجع إليه في الأمور.

على أن الحال في شرق الأردن لم تكن حال الفترة الخالصة فهناك حكومات مختلفة إحداها في الصلت ورئيسها وكيل المتصرف مظهر بك الرسلان الذي أقرّه على الحكم - وسماه حاكماً - مندوب فلسطين البريطاني الأعلى السير هربرت صموئيل، وثانية في عمان كان ارتباطها بالصلت وحلّ الرباط منذ قدمها الشريف علي بن الحسين الحارثي فأصبح قائمقامها الأمير محمود الشهابي لا يعرف متبوعه الأعظم أهو مظهر أم الحارثي، وثالثة في الكرك رئيسها رفيفان المجالي أحد زعماء عشائرها، ورابعة في جرش على رأسها محمد علي بك المغربي المرتبط بأهاليها وعشائرها ارتباطاً لا يحله إلا مخالفته لعبد من عبيدهم في أمر يوعز به إليه، وخامسة في إربد يحمل زمامها علي خلقي بك أحد زملائنا في حمل وسام حكم الإعدام من دولة فرنسا الفخمة، وسادسة في الطفيلة تسلم الحكم فيها عدد من متنفذيها، وسابعة في الكورة يرأسها زعيمه الثائر الشيخ كليب الشريدي، وثامنة في عجلون يديرها قائمقام اسمه علي نيازي، ولعل هناك تاسعة وعاشرة وحادية عشرة منبثات في هذه القرية وتلك المزرعة وذلك الحقل!

نعم، كانت في شرقي الأردن قبيل وصول الأمير اليها وبعيد وصوله حكومات، شأنها ما ذكرت، وكان في كل من الصلت وعمان وإربد والكرك وجرش، قبعة بيضاء كبيرة ذات إطار أشبه بالعمامة، يستتر تحتها ضمير تربطه أسلاك سحرية بمدينة اسمها لندن ووزارة يدعونها وزارة المستعمرات البريطانية. أما صاحب هذه القبعة فيحمل في محفظة أوراقه سطوراً تدل في جملتها على أن له صفة رسمية هي أنه معتمد حكومة بريطانيا العظمى في تلك البلدة وأنه يرجع في أمهات أموره إلى شخص من فصيلته يقيم في الصلت، وقد يتنقل بينها وبين عمان، يمتاز بلقب رئيس المعتمدين البريطانيين في منطقة شرق الأردن.

وكان يغلب على هؤلاء المعتمدين الانزواء، كراهية أن يستثقل الناس ظلهم. ولكن أصابعهم لم تكن هادئة. كانت طويلة، كثيرة الحركة كألسنتهم.. وهم في الحقيقة أصحاب التأثير الذي كان يضؤل وينمو، ويضعف ويقوى، صعوداً وهبوطاً كالبارومتر، أمام اشتداد الأهالي ولينهم. وهم كانوا في كل حال مصدر كل فكرة لا يأبه الزعماء في المنطقة لنتائجها، هم بثوا في كل بلدة روح الانفصال عن الأخرى، وهم حرضوا كل جماعة على أن يكون لها شبه مجلس تمثيلي أوهموه أنه يستطيع أن يدير شؤونها، وهم كانوا أداة التفريق في المنطقة ليستطيعوا الاستفادة من إضعافها، وهم كانوا الكرماء الضاربين خيامهم بمدرجة الطريق، يتسابقون إلى قِرى الزعماء.

كانت حكومات في المنطقة، وكان حكام، وكان معتمدون بريطانيون، ولكن مجموع هذه الحكومات وأولئك الحكام والمعتمدين أصبح والحيرة ملكت عليه مسالك الرشد بعد أن دخل الأمير عبدالله منطقة شرق الأردن.

ظلت القضايا في تلك الفترة لا مرجع ثابتا لها، وفيه ما يرفعه المتخاصمان إلى مرجعين في وقت واحد، أحدهما يلجأ إلى من يسمي نفسه الحاكم، والثاني إلى سمو الأمير.

* * *

كان هناك اضطراب ولكنه لم يلبس رداء الفتنة، وكانت هناك حكومات ولكنها مشدودة الأيدي إلى الأعناق، وكانت هناك فوضى ولكن زمنها لم يطل، لأن من يعنيهم أمر سورية وفلسطين ويعرفون أن الفوضى على حدودهما تكبدهم إنفاق مال وبذل رجال، لم يسرهم دوامها.

زد على ما تقدم أن الإنكليز اعتادوا أن يسيروا في سياستهم مع الأمر الواقع، بغية تحويله إلى الوجهة التي لا تخالف وجهة مصالحهم.

إذا عرفنا هذا كله لم يصعب علينا أن ندرك أن الإنكليز بعد رؤيتهم الأمير عبدالله في معان المتاخمة لشرق الأردن، وزعماء البلاد يتهافتون عليه، ومنشورات الحض على الثورة والتهيؤ للثورة توزع باسم الأمير عبدالله في كل مكان، عمدوا إلى النار يحولونها إلى أقراصهم - كما يقول المثل الشامي - وقد بدا أثر ذلك بعد أقل من شهور.

لم يكن في عمان آنئذ سيارات تحمل الناس منها إلى المحطة، ومن المحطة إليها، والمسافة بينهما ثلاثة كيلومترات، وإنما كان الركوب على عجلات الخيل هو كل شيء هناك من وسائل النقل والتنقل.

ورأى المقيمون في عمان الذين يذهبون لزيارة الأمير في كل يوم، أن إضاعة ساعتين من كل صباح، بين الغدو والرواح، حال غير محمودة، فاتفقوا - وأنا في زمرتهم - على النقلة إلى المحطة أيضاً..

وصباح الخميس 30 جمادى الثانية 1339هـ (10 مارس 1921) كانت الحقائب والأخراج تنقل تباعاً إلى الوادي الخصيب المجاور للمحطة، وفي جملتها حقيبتان إحداهما لي والثانية ليوسف ياسين، الصديق الصدوق، ألقيتا على مقربة من نهر هناك، ثم أقيمت عليهما خيمة كانت مأوانا بضعة أسابيع، ولله ما أحلى حياة الخيام!

* * *

عصفت الرياح ليلة، وقرص البرد، وانهمر المطر، فأحكمنا منافذ الخيمة سداً ورتقاً، وكاد الكرى يأخذ بمعاقد الأجفان، وإذا بمنادٍ يصيح باسمي صياحاً متتابعاً، فأجبت، وقمت إلى أحد أطراف الخيمة فحللت رباطه بعد أن أوقدت الشمعة، وقلت: من؟ فإذا إنسان يقول: سيدنا يبغاك! فعرفت أن الرجل حجازي، وأهل الحجاز كلهم يقولون بغاه يبغاه (والصواب يبغيه) وقد يأكلون عين هذا الفعل في المضارع فيقولون «ويش تبي مني؟» يريدون «ماذا تبغي مني».

ولم يسعني إلا أن أجيب الدعوة، فألقيت عباءتي على رأسي، استتاراً من ماء المطر، وهرولت كالجَذَع[1] أخب في الوحل وأضع.. حتى بلغت بيت الأمير، ودخلت، فنظرت، فإذا هو جالس على بساط وقد اتكأ على قتَب، وإذا أمامه كرسي صغير عليه رقعة شطرنج، وقد جلس في الجانب الآخر مرافقه حامد بك الوادي، وأحدهما يقول «شاهك!» فسلمت وجلست ألحظ الشطرنج وأرقب انتهاء الشوط - كما يسمونه - ولم يخالجني ريب في أن للأمير حديثاً يريد أن يفضي به إليّ بعد لعبه، وتمت الغلبة لحامد، ونادى الأمير: الشاهي يا عيال! (يريد: الشاي يا خدم) فشربنا الشاهيّ، وتجاذبنا أطراف الحديث فكان موضوعه الشطرنج وما قيل فيه، وكان قد حضر غالب الشعلان وهو من مرافقي سموه أيضاً وأخيراً استأذن حامد وغالب بالانصراف فاستأذنت معهما، فأذن الأمير، وخرجنا..

قلت لحامد ونحن في طريقنا: لماذا دعاني الأمير؟ فقال: لتشهد على الظافر منا في الشطرنج، قلت: ولِمَ لم يقل؟ قال: لأني كنت أنا الغالب! فضحكنا..

* * *

---

(1) الجذع - بفتحتين وبالذات المعجمة - الشاب الحدث، ومنها قول العامة في مصر «جدع» بالدال المهملة، وفي أراجيز العرب:

يـــا ليتنـــي فيهـــا جـــذع أخـــب فيهـــا وأضـــع !

الأمـانـي

تناقل الناس منشورات الأمير التي كان يبعث بها من معان، واطلعوا على جريدته الثورية، وتناول من كتب إليهم في فلسطين وسورية رسائله التي كان يدعوهم بها للقدوم إلى معان، وقرأوا في الصحف بلاغات الإنكليز والفرنسويين عن الثورة في وادي اليرموك وأطراف حوران، ودلّهم انقطاع القطار عن السير بين دمشق وحيفا على حادث جديد، وجاءهم نبأ اقتلاع أمتار من خطوط السكة الحديدية بين درعا وخربة الغزالة، وأتاهم بالأخبار من زودوا - ومن لم يزوّدوا - مذيعاً أن جسر المقارن بين درعا وسمخ قد نُسف، فعلموا أن وراء الأكمة ما وراءها، وبنوا قصور الآمال والأماني، وتقدم فريق منهم - وما هو بقليل - يضع الخطط ويوجه الاقتراح تلو الاقتراح من مصر والقدس والشام، وهناك نبذة من كتاب ورد عليّ من بعضهم بتاريخ 25 شباط (فبراير) 1921 والأمير لا يزال في معان:

ملخص المقاصد المطلوب تنفيذها في معان لدى المقام الأكبر.. ما يأتي:

1 - تقديم مذكرة بريدية أو تلغرافية إلى المندوب السامي في فلسطين ببيان المقاصد الأساسية للحركة، وذلك لمناسبة الجوار ومنعاً لتشويش سياسي يستوجب التدخل الدولي.

2 - اتخاذ معان مركزاً للحركة لا عمان، حذراً من المشاكل.

3 - عقد مؤتمر في معان يدعى إليه جميع رجال سورية وأحرار العرب لتشكيل اتحاد عام وتقسيم الأعمال وتعيين خطة ثابتة.

4- تخصيص مبلغ لجلب الثلاثمائة ضابط وشاب في سورية المتهيئين للالتحاق بمعان، وغير خافٍ ما لالتحاقهم من التأثير سياسياً في موقف السلطة الفرنسوية خاصة والعالم السياسي عامة.

5- تأسيس مكتب مخابرة في القدس كمركز إداري وسياسي للحركات وتلقي تقارير أوروبا وأميركا وسورية ومعان ومخابرة الجرائد الكبرى بالأعمال الواجب ذيوعها وتلخيص التطور السياسي العام وتسفير الواردين، وعندنا أن ذلك أس الأساس للتوفيق في الأعمال تشكيلاً وتنفيذاً.

6- تشكيل حكومة سورية مشروعة في نظر العالم.

7- تأليف وفود ترسل إلى أميركا وألمانيا وتركيا وغيرها.

8- تعيين نقاط مواصلة بين معان وهنانو وحاجم وصالح العلي[1].

9- إمداد الثورة القائمة في جوار درعا ودمشق، بالمال والسلاح.

10- تنظيم برد خاصة بين معان وأماكن الحركات». اهـ.

* * *

هذا نموذج مما كان في أذهان الناس، ولو طاف في تلك الآونة طائف في سورية لسمع دقات القلوب سروراً وابتهاجاً، ولأوشك أن يلمس

(1) الثلاثة من كبار أصحاب الثورات على الفرنسيين في سورية.

الآمال متجسمة في الجماعات والأفراد، اغتباطاً بقرب يوم الخلاص والنجاة من شرك الاستعمار الآخذ منهم بالأيدي والأعناق!

* * *

وحسبك برهاناً على أن صهباء الآمال، لعبت في الرؤوس، توافدُ المتوافدين من كل صوب وناحية، إجابة لدعوة الأمير إذ دعاهم فلم يكن يمضي يوم واحد وعمان خالية من قادمين جدد: ضباط، وجنود، وإداريين، وذوي رأي، يتأبط أكثر المعروفين منهم بالاشتغال في القضية العربية كتباً إن اختلفت مصادرها فمنبعها واحد، بعضها من الأمير نفسه، وبعض آخر من أنصار حركته الأقربين منه، وبعض ممن تطوعوا للخدمة وبادروا تسوقهم النية الصالحة إلى دعوة من يعقدون عليه الأمل للحركة.. غير أن المنبع الحقيقي لفكرة استدعاء الناس، قاصيهم ودانيهم، كان هو الأمير عبدالله عينه، كاتباً بيده، أو مملياً بلسانه، أو موعزاً بإشارته..

وهكذا لم يكد ينجلي الغبار، حتى كانت عمان محتشد الجموع ومزدحم الأقدام، فالدور غاصة والخيام متراصة، والناس من كل حدب ينسلون:

وإذا بعمان، ومن يسمع يخل ... بلد تحط به الرحال وتوضع

حشرت بها من كل موطن عزة ... فئة لها في كل أمر إصبع



في مهب الريح



لم تكن مقاطعة شرق الأردن، بعد احتلال الفرنسيين دمشق، في حال يصح أن تعتبر طبيعية، بل كانت إدارتها وأوضاعها وأقسامها كلها أدلة ناطقة على أنها غير ثابتة، وإن تناولتها الأيدي بالترقيع..

وقد ظلت أياماً، بعد خروج الملك فيصل من سورية الشمالية، لا يعرف حكامها أين مرجعهم الحقيقي أهو في دمشق أم في القدس، حتى حل المشكل السير هربرت صموئيل المندوب البريطاني الأعلى في فلسطين بزيارته الصلت في أغسطس سنة 1920 وإلقائه بيانه الذي نقلته برمته شركة روتر الإنكليزية وهذا نصه:

بيان هربرت صموئيل:

قالت شركة «روتر» في أغسطس 1920 ما معناه نقلاً عن الصحف:

استقبل العرب في الصلت المندوب السامي في فلسطين السير هربرت صموئيل استقبالاً شائقاً على عادتهم وتوافد عليه شيوخ العشائر كعشيرة المجالي والعدوان وبني حسن وبني حميدة وعجلون والبلقاء وعشائر أخرى فألقى عليهم خطبته الآتية في ساحة المدينة وكانوا نحو ستمائة - قال:

«زارني في القدس كثيرون من الوجهاء ورؤساء عشائر شرق الأردن منذ احتل الفرنسيون دمشق وجاءتني رسائل من سواهم ومن وجهاء السلط (الصلت) طالبين تمديد الإدارة البريطانية إلى بلادهم. على أنكم تعلمون أنه قد تم الاتفاق من زمن طويل بين الحكومتين على أن هذه البلاد هي ضمن منطقة النفوذ الإنكليزي لا الفرنسي. وقد جاءتني برقية منذ بضعة أيام من لندن تقول إن الحكومة الفرنسية كررت تأكيداتها بأنها لا تريد أن تتدخل بأي شكل كان في شؤون هذه المقاطعة. وبما أن الحكومة الفرنسية قد عززت نفوذها في دمشق فقد أصبح من الضروري فصل هذه المقاطعة عن إدارة دمشق.

تسألونني عن نوع المساعدة التي تريد إنكلترا أن تقدمها لكم فأجيبكم أنها لا تريد أن تضمكم إلى الإدارة الموجودة الآن في فلسطين بل تنشئ لكم إدارة منفردة تساعدكم على أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم.

وسترسل إليكم عدداً قليلاً من الضباط السياسيين ورجال القضاء ذوي الخبرة الواقفين وقوفا تاماً على اللغة العربية وأحوال الشعب العربي فيسكنون البلدان الكبرى في هذه المقاطعة وأنتم تعرفون أكثرهم شخصياً.

وسيساعدونكم على تنظيم الدفاع تجاه أي هجوم خارجي وتنظيم البوليس الذي يصون الأمن في الداخل، وترقية التجارة، وتأييد العدالة، وإنفاق ما تدفعونه من الضرائب بأمانة تامة على مصالحكم واحتياجاتكم ويستشيرونكم في الغاية التي تدفع لأجلها الأموال، وإصلاح الطرق وترميمها، وإنشاء المدارس، وتقديم المعاونات الصحية.

وستكون لكم حرية الاتجار التامة مع فلسطين ويرسل البترول والأزر والسكر وبقية الحاجات إليكم كما يرسل إلى أهالي فلسطين على القاعدة نفسها، ولكن نسألكم اتخاذ التدابير لمنع إخراج هذه الحاجات القليلة في هذه الأيام إلى البلاد المجاورة ونبذل جهدنا لإجراء التسهيلات لبيع ما تريدون بيعه ونتخذ الوسائل اللازمة لافتتاح بنك يساعد التجارة بأقرب ما يمكن. ونعزز وسائل نقل البريد مع فلسطين والبلاد الأخرى ونقدم لكم النصائح النافعة في إنشاء الطرق والشؤون الأخرى التي تهمكم.

وسيأخذ الموظفون الذين يشتغلون في البلاد بإرشاد العدد القليل من موظفي الإنكليز من أبناء البلاد وليس في النية إنشاء أي نظام إجباري للخدمة في الجيش ولا نزع السلاح بأي وسيلة كانت.

ولكن لا يسمح بإدخال السلاح إلى فلسطين كما هي الحالة الآن، فإذا كنتم تريدون المساعدة الإنكليزية أليس هذا الشكل أفضل أشكال المساعدة.

وستكون التعليمات العمومية التي ترسلها الحكومة البريطانية إلى موظفيها هنا مبنية على قاعدة مساعدة أهالي البلاد ليحكموا أنفسهم

بأنفسهم فمراعاة هذه المبادئ المؤسسة على العدل والشرف اللذين تمتاز بهما الإدارة البريطانية في جميع أنحاء العالم هي الأسس الصالحة لكل حكومة صالحة فعسى أن تكون نتائج هذا الاجتماع لخير البلاد وفلاحها وأضرع إلى الله أن يبارك هذه البلاد وسكانها».

* * *

وقد قوبل هذا البيان من أهالي المنطقة بفتور دلّ عليه أن زعماءهم جمدوا بعد أن سمعوه، جمود الحيرة، لا يدرون أشر أريد بهم أم أراد بهم ربهم رشداً..

ولما سئلوا عما يجول في نفوسهم وقف أحدهم وقال: يظهر أن أوروبا عدلت عن فكرة اعتبار الكفاءات في الأمم، ورجعت إلى القرعة، فهي بينما تمنع سورية ولبنان وفلسطين الاستقلال تعترف به لشرقي الأردن..!

* * *

وهكذا عرفت منطقة شرق الأردن أن أصابع المندوب البريطاني الأعلى بفلسطين لن تكون بعيدة عنها إلا أنها مع ذلك انفلتت تحكم نفسها بنفسها، فألفت حكومة الصلت مجلساً سمّته «مجلس الشورى» أبت حكومتا الكرك وعجلون أن يكون لهما ممثلون في هذا المجلس فاقتصر عمله على النظر في شؤون الصلت وعمان المحلية، يراقب سيره معتمد بريطاني برتبة (ميجر) اسمه «كامب» كما كان يراقب شؤون إربد وعجلون والمزار الميجر

«سمرست» وشؤون الكرك والطفيلة الكابتن «كاركبرايت» وشؤون جرش المستر «مانكون» وشؤون عمان «كاركبرايت» الصغير، وهو شقيق معتمد الكرك، ولعامة المناطق مفتش درك عام هو «فريدريك بيك» المعروف يومئذ باسم «بيك بك».

* * *

لم يكن للمنطقة نظام خاص في ذلك الحين، وإنما كان الحكم فيها يميل إلى العُرف، ولو كان الحكم العُرفي شاملاً كل أنحائها لكان نظاماً، ولكن الفروق كانت كبيرة بين كل بلدة أو قرية وأخرى، فقانون مدني، ونظام عسكري، وقضاء عشائري، وشرع، وعُرف، وقرعة، واستبداد، وشورى..

ولم يحل دون تعدد أشكال الحكم فيها، وجود أفراد من بقايا موظفي الحكومتين السابقتين التركية والعربية عرفوا شيئاً من القانون وألفوا الأخذ ببعض مواده.

* * *

وما كان ذلك في نظام الحكم فقط، بل في المعارف أيضاً، فقد كانت في المقاطعة كتاتيب مبثوثة في مدنها وقراها، دخلت إحداها في قرية «صويلح» فنهض معلمها صائحاً: «قاق»[1] فوقف التلاميذ، وجاء بكرسي فجلست وجلسوا، ثم نظرت في ما بين أيديهم من الكتب الابتدائية، وسألت أحدهم سؤالاً منها فلم يحر جواباً، فسألته ثانياً وثالثاً فلم يجب، فتوسط المعلم بيننا،

---

(1) كلمة تركية أصلها «قالق» أي: قف.

فألقى السؤال نفسه باللغة الشركسية فأجابه التلميذ ولم يتلعثم! واعتذر المعلم بأن أكثرهم شراكسة وأنه مضطر أن يلقي عليهم الدروس بلغتهم ويذاكرهم بها.. وزرت مدرسة رسمية أخرى في «مأدبا» - وكنت مفتشاً للمعارف - فجاءني كبير معلميها يحدثني بنشاطه واهتمامه مثبتاً ذلك بوضعه نظاماً نافعاً للتعليم في المدرسة ولما سألته عن الدروس التي قرر تدريسها عرفت أنه قسّم التلاميذ قسمين أحدهما قسم «المسلمين» والثاني قسم «المسيحيين» وأنه اكتفى بتعليم الأول «القرآن» والثاني «الإنجيل» متناً وشرحاً..!

* * *

ومثل هذا يقال عن «الأمن» وقد كان لما يسمونه «الدخالة» شأن يُذكر فيه، وهي أن يجني الجاني أو يسرق السارق فتطلبه الحكومة فيلجأ إلى أحد شيوخ البدو فيقال «دخل على فلان» وللحكومة بعد ذلك أن تسوق جيشاً تضرب به القبيلة كلها أو أن تصبر على مضض والمجرم في أمان!

وناهيك بها أسلفناه من قصة مفتش الدرك البريطاني العام في المقاطعة وقبض رجال «أم العمد» عليه..

* * *

خلاصة القول في هذا الباب إن المنطقة كانت في إدارتها ومعارفها وأمنها، ريشة في مهب الريح لا تستقر على حال، واستمرت وذلك شأنها إلى أن بدّلها الله من فوضاها نظاما.

من حال إلى حال



غص مجلس الأمير عبدالله يوم السبت 25 جمادى الثانية 1339 (5 مارس 1921) وبدأ سموه يحلم بالزحف على سورية والاقتصاص ممن خان بلاده وأمته فيها، فقال لأحد الجالسين وكان من أهل الفتوة: ما قولك يا أبا فلان إذا دخلنا الشام وأبحت لك أن تعاقب الخونة، كيف تقتلهم؟ - قال سموه ذلك ويده تعبث بلحيته الشقراء - فابتهج سامعه وقال: خنقاً يا سيدي كما تخنق الدجاج..!

* * *

والتفت سموه إلى من كان حاضراً من الصحافيين فقال: وأنتم، لا تقولوا لي غداً، بعد أن ندخل الشام، حرية ودستور! شَرْطي عليكم من الآن أن أغلق كل جريدة في سورية مدة ستة أشهر إلى أن تهدأ كل ثائرة ويتم كل شيء.. وبعد ذلك لا أكتفي بأن أطلق أقلامكم بل أضيف إليها قلمي..!

* * *

وبينما الحديث يمطرنا وابلاً من هذه الأماني، دخل أحد مرافقي سموه يحمل ورقة في يده، فتناولها سموه وقرأها منعماً بصره فيها، ثم عطف بنظره علينا وقال: إيه! برقية من والدي.. فأصغينا، وتلاها فإذا جلالة الملك حسين يقول ما خلاصته إن وزير المستعمرات البريطانية المستر ونستون تشرشل على أهبة السفر إلى الشرق وسيقابلك ويفاوضك...

* * *

قرأ الأمير البرقية وأعقبها بقوله: على أي شيء يفاوضنا؟.. نحن والله ما جئنا لنشتغل في السياسة..

* * *

وفي اليوم الثاني كان عوني بك عبد الهادي يحمل رسالة من الأمير متوجهاً بها إلى القدس حيث قابل السير هربرت صموئيل مقابلة رسمية وعاد صباح الاثنين (14 مارس 1921) فحلّ ضيفاً عليّ وبات تلك الليلة في خيمتي، ولم يكتم أنه سيحمل رسالة أخرى صباح الأربعاء إلى مصر حيث يقابل المستر تشرشل وقد كان ذلك ولم أتمكن من الاطلاع على الرسالة.

* * *

وسافر بعد ظهر الجمعة (18 مارس 1921) الأستاذ الشيخ كامل القصاب إلى مصر يحمل تفويضاً باستحثاث السوريين فيها وحضّهم على

مؤازرة الحركة، وقد عهد إليه الأمير بمباحثة الأحزاب العربية فيها وأصحبه كتاباً هذا نصه بحروفه:

حضرات الأفاضل أعضاء حزب الاتحاد السوري وأحزاب الجالية السورية العربية بمصر حفظهم المولى.

السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فقد حملت إليكم الأنباء ولا ريب خبر قدومي إلى عمان الذي لم يبعثني عليه غير رغبتي بتحرير البلاد السورية وإنقاذها مما ألمّ بها، وقد نشطني جداً ما رأيته من الوطنيين الكرام هنا وفي كل مكان مررت به من مظاهر الالتفاف حول هذه الحركة الثابتة الدعائم بمعونته تعالى.

ولا يداخلني الشك في أنكم ما زلتم في طليعة الساعين وراء الغاية نفسها، ويمكنني بهذه المناسبة أن أستفز حميّتكم وأدعوكم إلى واجب وطني أؤمل أن تلبوني إليه وهو بذل الجهد في سبيل هذه النهضة ومؤازرتها بمساعيكم الناجحة إن شاء الله، وستعلمون من القادمين عليكم ما يؤكد لكم ثقتي بنشاطكم واعتمادي على همّتكم. واقبلوا في الختام تحيتي والسلام.

عمان: 5 رجب 1339 (15 مارس 1921)

عبدالله

* * *

ودعاني سموه يوم الجمعة (11 مارس 1921) فجئته وعنده بعض من يثق بهم من الحجازيين، فافتتح الحديث بذكر القضية العربية وما عرض لها من تقلبات وأطوار، وحصر الكلام بعد ذلك في قضية العراق وأن أهله بايعوا له (مشيراً إلى مناداة بعض أهل العراق به ملكاً، وهم في دمشق وهو في مكة يوم 9 مارس 1920) ثم أشار إلى أنه غير واثق من أن أخاه (الملك فيصلاً) سيقبل تاج العراق.. وأخيراً قال: ألا تكتب لنا سلسلة مقالات في الموضوع يا خير الدين؟

لم أدرِ بماذا أجيبه، أأعده بالكتابة وفيصل يقلّب تاج العراق بين يديه؟ أم أعارضه وهو مسترسل في حدّته؟

موقف حرج! خير لي أن لا أدخل المعترك، وخير لي أن أخرج بالصمت عن لا ونعم! فلا أتقيد بالوعد، ولا أصدم التيار.. وقد استطعت ذلك.

* * *

كان الأمير عبدالله قد كتب من «معان» إلى رشيد بك طليع مدير الداخلية ثم والي حلب في عهد الحكومة العربية بالشام - يدعوه إليه، فأجابه بأن بقاءه في جبل حوران يوحد الصفوف ويجمع الكلمة ويعرقل مساعي الفرنسيين أفضل من ذهابه إلى معان، فأعاد الأمير الطلب وأعاد رشيد بك الجواب مع عدد من الفرسان أوعز إليهم بأن يلتحقوا بسموه.

وبعد أن انتقل الأمير إلى عمان كتب إلى رشيد بك يدعوه، على أن يمكث أياماً ثم له يعود إن لم تقضِ المصلحة ببقائه، فلم يسع رشيد بك إلا الموافقة، فأقبل على عمان في جمع كبير من فرسان الجبل. واتفق وصوله يوم 27 مارس (آذار) 1921 والأمير متهيئ للسفر إلى القدس للاجتماع بالمستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية، فطلب الأمير إلى رشيد بك أن يصحبه في رحلته هذه، فأجاب بالقبول.

* * *

وفي اليوم نفسه خرجت جماهير الناس من القدس لاستقبال الأمير في أريحا[1]، وضربوا له سرادقاً فخماً في مكان بينها وين القدس. وأقبلت سيارة الأمير ووراءها بضع سيارات كان فيها رشيد بك طليع وأحمد بك مريود وأمين بك التميمي وعوني بك عبد الهادي وغالب بك الشعلان ومظهر بك الرسلان وآخرون، فهتف الحشد للأمير وللعرب وللاستقلال.. وكان الجمع مؤلفاً من أعيان فلسطين ووجوه علمائها وخيار رجالها العاملين المعروفين بإخلاصهم للقضية العربية الحقيقية وتفانيهم في سبيل الذود عن وطنهم العربي.

* * *

(1) قرية قديمة العهد، كان لها شأن في أجيال النبوات الخالية، وهي اليوم عدة بيوت مبنية حول قلعة، على نحو 15 ميلاً من شرق القدس وستة أميال من غرب ضفة الأردن.

وزار القدس في ذلك اليوم المسيو روبير ديكاي وكيل المندوب الفرنسوي الأعلى في سورية، لمفاوضة المستر تشرشل في أمور تتعلق بسورية وفلسطين وشرق الأردن. فضمّ قصر الطور أربعة، هم: الأمير عبدالله، والمستر تشرشل، والمسيو دي كاي، والسير صموئيل.

* * *

وبعد أن أتم تشرشل حديثه مع دي كاي أشار إليه مسكناً اضطرابه، ثم ودّعه وجلس في غرفته ينتظر دخول الأمير عبدالله وقد حان الموعد.

* * *

خلا تشرشل بعبدالله، ومع الأول سكرتيره، ومع الثاني كاتبه الخاص عوني بك عبد الهادي يترجم له ما يقال. وافترق الوزير والأمير بعد ساعة متفقين على كتمان ما دار بينهما، وخلاصته:

1 – أن تؤسس في شرق الأردن حكومة وطنية يرئسها الأمير عبدالله.

2 – أن تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً إدارياً تاماً.

3 – أن يساعد البريطانيون هذه الحكومة بما يكفي لنفقات قوة تستطيع توطيد الأمن فيها.

4 – أن تعمل هذه الحكومة مسترشدة برأي مندوب بريطاني يقيم في عاصمتها «عمان».

5 – أن يتعهد الأمير عبدالله بالمحافظة على حدود فلسطين وسورية من كل اعتداء بدوي أو حضري.

6 – أن يعتبر هذا المشروع (كتجربة) مدة ستة أشهر فإن أُحسن تنفيذه استمر وإلا أعيد النظر فيه.

7 – أن يتعهد الأمير بالمحافظة على مركزين للطيران تنشئتهما الحكومة البريطانية في عمان والكرك.

* * *

هذه خلاصة ما نقل إليّ عن اتفاق «تشرشل – عبدالله» في اجتماعهما بالقدس، وقد دارت مذكرات ابتدائية في شؤون أخرى تناولت واردات الجمارك وحصة شرق الأردن منها، فعهد المستر تشرشل بإتمامها إلى السير هربرت صموئيل.

حكومة الأمير



ظل الأمير عبدالله محافظاً على كتمان نص «المعاهدة» بينه وبين وزير المستعمرات البريطاني المستر تشرشل، ولم يستطع أحد من رؤساء حكومته الذين تعاقبوا واحداً بعد آخر أن يطلع على موادها، حتى ذهب الأكثرون إلى أنها كانت شفهية لم تُكتب، ولكنه كان يحدث من شاء بشيء منها.

* * *

خرج الأمير من حضرة الوزير، وتهافت عليه من كان في القدس من أهل شرق الأردن وغيرها يسألونه عما أنتجته المقابلة، فأجاب بعضهم بأن الإنكليز تنازلوا له عن المنطقة.. واستأذنوه في أن يكون بين يديه واحد منهم يسمونه «مستشاراً» لسموه، فلم يرَ بأساً في قبوله..

وأكد لبعض أهل الكرك بالقدس أن النتيجة باهرة وأن مستقبل البلاد زاهر بتحقق الآمال!

* * *

وجلس الأمير بعد يوم واحد في الصلت، يحدث رشيد بك طليع بأن البريطانيين مستعدون لأن يعضدوا القضية العربية بعد أن رأوا حلفاءهم الفرنسيين يتفقون مع الترك، وأنهم - أي البريطانيين - سوف يسعون لإعادة سورية الداخلية حكومة مستقلة كما كانت في أيام أخيه فيصل، وأنهم طلبوا منه أن ينتظر ستة أشهر على الأكثر فإن لم يتمكنوا في خلالها من إقناع الفرنسيين بما يريد، لم يعارضوه في اقتحام سورية وإعداد الوسائل لبلوغ الغاية، وأن المستر تشرشل قد وافق بلسان حكومته على أن تكون منطقة شرق الأردن بلاداً مستقلة حرة يؤمها من أراد من رجال العرب الأحرار المحكوم عليهم من السلطة الفرنسية وغيرهم. ثم طلب من رشيد بك أن يقوم بتأسيس حكومة في المنطقة بينما يتقدمون إلى سورية، فوافق على طلبه واشترط شرطين، الأول: أن تكون الحكومة دستورية ذات مجلس نيابي، والثاني: أن يبقى حراً بالعمل في جبل حوران محافظة على الحالة الولائية التي كان قابضاً على ناصيتها، فوافق الأمير..

* * *

وبعد إياب الأمير عبدالله ومن معه إلى عمان، كلف رشيد بك رسمياً أن يؤسس له حكومته (المؤقتة) وسماه «الكاتب الإداري» كما سمي أعضاء الحكومة «مشاورين» ورغب إليه أن يكون مظهر الرسلان في جملتهم..

* * *

وشمّر رشيد بك طليع، الكاتب الإداري للأمير عبدالله رئيس حكومة شرق الأردن، عن ساعد الجد، فنظم الحكومة في أوائل شهر إبريل (نيسان) سنة 1921 تنظيماً كان أساسه الاقتصاد في النفقات، بحيث لم يزد أكبر مرتب على أربعين جنيهاً في الشهر ولم يحدث من الوظائف إلا ما لا بدّ منه لمصلحة البلاد، مراعياً في ذلك:

1- قلة واردات المنطقة.

2- تجنب إرهاق الأهالي بالضرائب.

3- الاستغناء عن طلب المساعدة المالية من الحكومة البريطانية.

4- الاحتفاظ بقسم من الواردات يُرصد لتأليف قوة عسكرية وطنية تقوم في المستقبل مقام القوة التي وعد المستر تشرشل بالإنفاق عليها.

* * *

تأسست الحكومة الأولى في عهد الأمير عبدالله برئاسته، وقوامها الآتية أسماءهم:

1- رشيد بك طليع: الكاتب الإداري ورئيس مجلس المشاورين ووكيل مشاور الداخلية.

2- الأمير شاكر بن زيد: نائب العشائر.

3- أحمد بك مريود: معاون نائب العشائر وأحد أعضاء مجلس المشاورين.

4- أمين بك التميمي: مشاور الداخلية ومتصرف لواء عجلون.

5- مظهر بك الرسلان: مشاو العدلية والصحة والمعارف، وعضو في مجلس المشاورين.

6- علي خلقي بك: مشاور الأمن والانضباط وعضو في مجلس المشاورين.

7- الشيخ محمد الخضر الشنقيطي: قاضي القضاة وعضو في مجلس المشاورين.

8- حسن بك الحكيم: مشاور المالية وعضو في مجلس المشاورين (وكان مقيماً في مصر، فدعي إلى عمان فجاء).



رد الزيـارة

صموئيل في عمان



للإنكليز ولع بالمجاملات، ولهم أسلوب خاص في الصداقة والموالاة يحسنون به استثمارها، والسير هربرت صموئيل رقيق الحاشية، لين الطبع - كما يصفه بعض عارفيه - فكيف يزوره سمو الأمير عبدالله، نجل جلالة الملك حسين، ويتقاعد هو عن رد الزيارة أو يبطئ القيام بهذا الواجب! خصوصاً بعد أن أصبح الأمير جاره الأدنى في منطقته (فلسطين) وسيكون غداً صديقه الوفي...

* * *

وقبل قيام السير صموئيل من القدس، ببضعة أيام، حلقت في سماء عمان طيارتان ودارتا دورتها اللولبية فانحدرتا، فلم يرهما سمو الأمير إلا رابضتين في مقره، أمام سرادقه، وكانت خيام المقر قد نصبت في الرابية

المسماة «مركة» المطلة على محطة عمان من الجهة الشرقية، فتحدث الناس في أمر الطيارتين فقيل إنهما هدية من حكومة فلسطين، وقيل زائرتان.. وقيل لخدمة الأمير وحمل رسائله إلى الكرك وعجلون بينما تربطهما أسلاك البرق بعمان، ولم يكن هناك من يدري الحقيقة غير اثنين - ظلا صامتين - أحدهما الأمير عبدالله والثاني المستر «أبرامسون» المعتمد البريطاني الأعلى في مقاطعة شرق الأردن، وقد جاءها بعد الاتفاق الأخير.

* * *

استطابت الطيارتان المناخ وأقبلت طيارتان أخريان، وليس في الناس من يجسر على الاسترابة بهما أو السؤال عنهما، وهما والسابقتان قيد ناظري الأمير وبين يديه.

* * *

واستقبل الأمير عبدالله وحكومته ومستشاره البريطاني يوم 17 إبريل 1921 (9 شعبان 1339) زائرهم الكريم السير هربرت صموئيل المندوب البريطاني الأعلى في فلسطين - وتوابعها - يصحبه المستر ديدس سكرتيره المدني والكولونيل لورنس واللورد إدوارد هاي. فكان الاحتفاء عظيماً دلّ على عناية الأمير بأضيافه الفخام.

* * *

وجلس القادمون في مضرب الأمير عبدالله، برابية مركة، يتحدثون إلى بعض من كان هناك من أعضاء الحكومة الذين كانت صفتهم مشاوري

سمو الأمير، ولم يمضِ على وصولهم نصف ساعة حتى نهض السير هربرت صموئيل والمستر ديدس (وهذا يُحسن التركية كالأمير) ونهض معهما الأمير، فخرجوا من الخيمة يتسامرون في الهواء الطلق، ودام انفرادهم - أو خلوتهم - مدة ساعتين، ثم عادوا بعد الغروب، فتناولوا الطعام مع من حضر.

وبعد العشاء همس الأمير في أذن رشيد بك طليع (الكاتب الإداري) قائلا: إن المندوب سيلقي غداً خطبة يريد أن يحضرها جميع من في البلدة من رؤساء العشائر وسراة القوم وغيرهم. فأوجس رشيد بك خيفة وأبان للأمير أن الخطبة قد تشتمل على ما لا يوافق المصلحة فيغضب الرأي العام، فتضطر الحكومة إلى الرد عليها فلا تأتي بغير الشر، فقال الأمير: ولكنني وافقت.. قال: فنخلق سبباً يحول دون إلقائها، فأبى. ثم اتفقا على طلب الاطلاع عليها قبل إلقائها، وطلبها الأمير من المندوب فوعده هذا بقراءتها عليهما في الصباح.

وأصبح اليوم الثاني فانفرد الأمير برشيد بك والمندوب وديدس، وقرئت الخطبة بينهم، فاعترض رشيد بك على كثير من جملها وناقشه ديدس، ثم وافق المندوب على حذف المعترض عليه، فحذف.

* * *

وألقيت الخطبة بعد ذلك، مهذبة مختصرة، على ألوف ممن كانوا بعمان وفيهم كثير من رؤساء العشائر وشيوخها، وأجابه الأمير بما اقتضته المجاملة..

ونقلت شركة «روتر» الخطبتين بالتلغراف إلى جميع أقطار الأرض، إلا أن خطبة المندوب نشرت بنصها الأول لم يحذف منها حرف واحد...!

خطبة المندوب السامي

كما نقلها روتر:

عمان في 18 إبريل 1921 - ألقى السير هربرت صموئيل المندوب السامي بفلسطين الخطبة التالية على بضعة آلاف من البدو أمام سرادق الأمير عبدالله، قال:

«كان من دواعي شرفي أنني حظيت بمقابلة صاحب السمو الأمير عبدالله بدار الحكومة في القدس بمناسبة زيارته لفلسطين كما حظيت بمقابلة المستر ونستون تشرشل أحد أعضاء الوزارة الإنكليزية.

إن الحكومة البريطانية ترحب بالفرصة السانحة للتعاون فيما وراء نهر الأردن مع الأمير عبدالله الذي لها في حُسْن نيته وصداقته كل ثقة. وهي تقدر قيمة الصداقة وحُسْن النية التي تجلت في خلال هذه الحرب الضروس التي دارت رحاها في كل هذه المدة الطويلة. وتعلم الحكومة البريطانية كما تقدر الخدمات التي قدمتها جيوش العرب في ذاك الكفاح وترغب في أن تتوطد في زمن السلم دعائم التحالف الذي بني في خلال الحرب.

يساعد الضباط البريطانيون منذ شهر أغسطس الماضي في إدارة شؤون البلدان الواقعة وراء نهر الأردن وسيواصلون العمل بصفتهم مستشارين

النيابة عني للأمير عبدالله وموظفيه في أنحاء البلاد المختلفة. وسيجد (الأمير عبدالله) في المستر أبرامسون المندوب البريطاني الأكبر ضابطاً ذا كفاءة وخبرة واسعة. ولمستر أبرامسون ومن معه من الضباط في جميع أنحاء المنطقة رجال يعطفون على السكان وعلى آداب اللغة العربية وسيتمكنون من تقديم المساعدة على ترقية البلاد وإعلاء شأنها. وسيبذل كل مجهود لتقديم ما قد تحتاجون إليه ولجعل أسواق فلسطين مفتوحة لمحصولات بلادكم وحاجات السكان. وسندرس أحوال سكان المدن والفلاحين ورجال القبائل على السواء بكل إمعان بقصد العمل لما فيه سعادتهم وعلى حسب حاجاتهم المتعددة. ولا ريب في أن حفظ النظام والأمن العام من المسائل الجوهرية للوصول إلى هذه الغاية. والآمال معقودة بأن يحتفظ بقوة احتياطية أعظم كفاءة وقوة من الدرك للمحافظة على سلطة الأمير عبدالله والحكومة المحلية. ويسرنا أن نحقق رغائب الأمير عبدالله في إمداده - وقت الحاجة - بالطيارات وغير ذلك من المساعدة لأغراض محلية. وستفضي هذه الوسائل إلى استتباب السكينة في المناطق، وفوق ذلك تساعد على اتخاذ التدابير اللازمة للضرب على أيدي كل من يعكر صفو السلام في الأماكن المجاورة في الغرب أو في الشمال..

وقد عولت الحكومة البريطانية على أن لا تكون البلدان الواقعة فيما وراء نهر الأردن مركزاً للعداء سواء ضد فلسطين أو سورية..

ويسرنا أن نعلم في تنفيذ هذا القرار أننا نستطيع الاعتماد على معاونة الأمير عبدالله. ومن بواعث الارتياح العظيم لحكومة جلالة الملك أن تجد

نفسها على وفاق عام مع ممثل للعرب في العالم العربي. وما سياستنا فيما وراء الأردن ووجودي اليوم بصفتي ممثلاً لجلالة الملك جورج إلا دليلان آخران على صدق هذا التحالف ومتانته.

فأرجو أن تتخذ الآن الوسائل التي ترفع هذه البلاد إلى مستوى من الرخاء والفلاح لا يقل عن مستوى البلدان المجاورة أو عما كانت عليه في الأزمنة السابقة».

فرد الأمير عبدالله قائلاً:

«أشكر فخامتكم على خطتكم القويمة وأقول بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن الحاضرين إنني واثق من أن الأمة العربية ستبرهن على أنها قادرة على تحقيق الآمال التي وُضعت فيها، وأنها جديرة بكل ما تساعدهم فيه حليفتهم الكبرى. وأدعو الله تعالى أن يحفظ الملك جورج والملك حسيناً وأن يديم سعادتهما...».



أخبـار



بعد ظهر 18 نيسان (إبريل) 1921 طار الكولونيل لورنس وبيك بك في طيارتين، فذهبا مشرّقين حتى الأزرق وتجاوزاه قليلاً، لمعرفة الطريق التي تؤدي إلى بغداد..

* * *

في 20 و21 و22 نيسان 1921 قرر مجلس المشاورين جعل إربد «لواء» وكانت «قضاء» وسافر إليها متصرفها أمين بك التميمي. وألحقت بها جرش.

قَبِلَ نبيه بك العظمة تعيينه قائمقاماً لعمان ولكنه لم يلبث أن استقال بعد أيام.

عُيِّن رشيد بك المدفعي متصرفاً للصلت، وكان قبل ذلك حاكماً عسكرياً لمنطقة عمان في عهد الحكومة السورية العربية.

أراد الإنكليز أن يجعلوا في المنطقة أربعة معتمدين يرأسهم أحدهم، فاعترضهم رشيد بك طليع، وبعد جدال اكتفوا باثنين أحدهما أبرامسون والثاني مفتش الدرك بيك.

وفد على المنطقة كثيرون في جملتهم القائمقام العسكري رشدي بك الصفدي.

* * *

في 27 نيسان 1921، قرر مجلس المشاورين أن يكون اسمه «الهيئة المركزية» وأصدر قانونين أحدهما يبين أعمال أعضائه ويجعل رئيسه «الكاتب الإداري» مسؤولاً أمام الأمير، ومرجِعاً للمشاورين جميعاً. والثاني في تسع مواد خلاصتها: تتألف مقاطعة شرق الأردن من ثلاثة ألوية (متصرفيات) الأولى الصلت، والثانية الكرك، والثالثة إربد، ويكون للمتصرفين ما للولاة من السلطة.

* * *

فاجأنا يوم 30 إبريل 1921 (22 شعبان 139) خبر مقتل الشيخ مشهور الفايز شيخ مشايخ عرب الصخور فتألمنا، وإليك تفصيل الحادث نقلاً عن رسالة بعثت بها إلى جريدة الأهرام ونُشرت في 9 مايو 1921.

قبائل الصخور (أو بنو صخر) أمنع عشائر شرق الأردن جانباً، تخرج نحو ثلاثة آلاف مقاتل مسلح، منازلها في جنوب عمان وتمتد شرقاً وغرباً، زعامتها لبطن منها هو المعروف بالفايز، ومن بطونها المطيرات ويجاورهم بنو حميدة. وقد أنجب فرع الفايز شاباً هو الشيخ «مشهور» ورث زعامة الصخور عن أبيه ونشأ موصوفاً بالشجاعة وكرم الأخلاق، ولعله المتعلم الوحيد في قبيلته، وولع بالمطالعة بعد أن تلقى دروسه الأولية في مدرسة دمشق الإعدادية وامتاز بالذكاء فاشتهر قبل بلوغه العشرين من سنيه.

واتفق أن عهدت حكومة الأمير إلى الشيخ مشهور بجمع أسلاب كان المطيرات قد انتهبوها من بعض أهالي مأدبا وأصحبته بقوة، فلما بلغ المطيرات اتجه إلى مضرب الناهب المدعو «فناطل» فخرج إليه مسلحاً فانتهره مشهور وأمره بإلقاء بندقيته، فأبى، وخرجت عروس فناطل وقد هاج عزة نفسها طلب مشهور من زوجها إلقاء سلاحه، وهذا من أشد أنواع الذل في العرب، فزغردت تثير حمية زوجها، فلم يكن من فناطل إلا أن أفرغ بندقيته في صدر مشهور فخرّ صريعاً، وبادر عبد كان مع مشهور إلى بندقيته فرمى فناطل فقتله في الحال، ثم قُتل العبد وانصرفت القوة، ولجأ المطيرات بعد ذلك إلى بني حميدة فأجاروهم وتفاقم الشر إلى أن حسمه تدخل الحكومة، وجلا المطيرات عن المنطقة على أن يعودوا بعد مدة.

أما الحادث في ذاته فمما يقع كثيراً بين سكان البادية، ولكن الذي يؤسف له هو خسارة ذلك الشاب المتقد وطنية ونباهة الذي كان يُؤمل منه

خير كثير في تحويل مجرى البداوة بين عشائره، إذ شرع بإرسال بعض أقاربه الصغار الأسنان إلى مدارس القدس وغيرها وكان يفكر بوجوب نشر التعليم بين القبائل، فقُتل قبل أن يتجاوز الحادية والعشرين عليه الرحمة.



ألقاب مملكة



أصبح الأمير عبدالله رئيس حكومة، وكثر المتقربون منه، ورأى أن باباً كان قد فتحه وهو زعيم الثورة في «معان» لا يمكنه إغلاقه وهو رئيس الحكومة في عمان.. ذلك هو باب الرتب والألقاب.

وكان من طليعة الفائزين بالألقاب في معان سعيد آغا خير رئيس بلدية عمان، كوفئ برتبة «باشا» على اتفاقه مع سائق قاطرة جاءت إلى عمان من قاطرات السكة الحجازية (فرع الشام) وقد زحف بها السائق إلى الجنوب ليسيرها الأمير بين معان والمدينة. وكان ذلك من أسباب امتناع فرع الشام عن تسيير القطارات بين درعا وعمان.

* * *

وبعد أن استقر بالأمير المقام في عمان أمطر قاصديه وابلاً من تلك النعمة، وتفنن في اختيار أنواع الرتب والألقاب، فمنح هذا رتبة قائمقام،

وذاك رتبة قائد، وذلك رتبة زعيم، وإليك أسماء طائفة ممن ازدانت صدورهم بشارات الرتب في مدة عامين أو أقل، وأكثرها فخرية:

الفائزون بلقب «باشا» وأكثرهم فخريون

العدد	الاسم	الرتبة	العدد	الاسم	الرتبة
1	سد بك الأطرش	أمير لواء	2	سعيد آغا خير	أمير لواء
3	سلطان العدوان	فريق	4	برجي بك الأطرش	أمير لواء
5	كريم بن فارس المجالي	أمير لواء	6	عطوي المجالي	أمير لواء
7	حسين بك الطراونة	أمير لواء	8	سلامة المعايطة	أمير لواء
9	نايف المجالي	أمير لواء	10	ميرزا بك الجركسي	أمير لواء
11	سليم مرار	أمير لواء	12	محمد الحسين	أمير لواء
13	نمر	أمير لواء	14	إسماعيل السالم	أمير لواء
15	صالح العيد	أمير لواء	16	سعيد أبو جابر	أمير لواء
17	فلاح الحمد	أمير لواء	18	سعيد العلي	أمير لواء
19	ماجد العدوان	أمير لواء	20	مثقال الفايز	أمير لواء
21	سلامة المعايطة	أمير لواء	22	صالح العوران	أمير لواء
23	المحسين	أمير لواء	24	راشد الخزاعي	أمير لواء
25	عبدالعزيز الكايد	أمير لواء	26	على الكايد	أمير لواء
27	سالم الهنداوي	أمير لواء	28	فواز العلي	أمير لواء
29	سعيد العلي	أمير لواء	30	علي الجركسي	أمير لواء
31	هليل بن هرماس	أمير لواء	32	حامد الشراري	أمير لواء
33	غالب بك الشعلان	أمير لواء	34	حامد بك النوادي	أمير لواء
35	رشدي بك الصفدي	أمير لواء	36	رشيد بك المدفعي	أمير لواء
37	مظهر بك الرسلان	أمير لواء	38	سعيد الدين شاتيلا	أمير لواء
39	رمضان بك شلاش	أمير لواء	40	بيك بك	أمير لواء

الفائزون برتبة زعيم (أميرالاي) الفخرية:

1. عبدالله بن خلف
2. شلاش بن فارس
3. زعل بك المجالي
4. دليوان المجالي
5. عطا الله السحيمات
6. عيسى المدانات
7. فايز المجالي
8. موسى المعايطة
9. إسماعيل صالح المجالي
10. سالم محمد الطراونة
11. عودة القسوس
12. جاد الله القطان

الفائزون برتبة قائمقام الفخرية:

1. مخاييل الصناع
2. علي الطريرة
3. عطوة الحباش
4. عطا الله الطراونة
5. عبدالعزيز الصمور
6. سليمان العرود
7. مصطفى المبيض
8. موسى المعايطة
9. سليم المعايطة
10. هويشل الشوارب
11. عبدالله العكشة
12. عبدالحميد المجالي
13. محمد القطاونة
14. إبراهيم القسوس
15. إسماعيل ذياب المجالي
16. علي خلف الطراونة
17. سليم السماعين
18. ثلجي المجالي

الفائزون برتبة قائد (بيكباشي) الفخرية:

1. يوسف بك الأطرش
2. تركي بك عامر

3	يحيى بك كيوان	4	عبدالله الشمايلي
5	نايف المجالي	6	موسى خليل المعاني
7	متري الزريقات	8	خليل المدانات
9	جاد الله الصناع	10	يوسف المعايي
11	عتيق بن طاعة	12	إلياس موسى الصناع

الفائزون برتبة رئيس (يوزباشي) الفخرية:

1	غازي الشمايلي	2	محمد العسبلي
3	أحمد الصعوبي	4	حسن حسني الشركسي
5	عيسى الحدادين	6	عبدالله العشي



رحلتان صغيرتان



الأولى

هيأ لي في شهر مارس (1921) أن أقوم برحلة صغيرة من عمان، إلى جرش، إلى الحصن، إلى إربد، إلى وادي العفر، إلى قرية كفر أسد، إلى قرية مخربا، إلى جسر المجامع. ومنه بالقطار إلى حيفا، فطولكرم، فحيفا، فيافا فالقدس، ثم في عجلة خيل (عربة) إلى الصلت، فعمان.

ولا أحب أن أورد هنا ما يمل القارئ من وصف سهول وجبال وخرائب وتلال بما يأتي ذكرها في بعض المناسبات، وإنما أكتفي بشذرات قيّدتها في مذكراتي لعلها لا تخلو من فائدة أو نكتة.

كان رافقني في بدء هذه الرحلة ثلاثة جمعتني وإياهم المعرفة ووحدة الطريق إلى إربد، وهم:

1 - علي آغا زلفو (من أعيان الأكراد في صالحية دمشق).

2- شكري القهوجي: كان فاتكاً صوالاً، وتحولت وجهته إلى مناوأة الفرنسيين والتعرض لمخافرهم (وهو أحد المتهمين برمي الجنرال غورو بالرصاص في حادثة القنيطرة).

3- شريف شاهين، وهو الذي كان يسميه الفرنسيون في بلاغاتهم الرسمية «الشريف شاهين» وقد أقلقهم في جهات بعلبك وحوران وغيرهما وله قصص ونوادر، وكان يرتجل الزجل الشامي المعروف بـ «العتابا» وهو أيضاً من المتهمين بالتعرض للجنرال غورو في أرض القنيطرة.

* * *

بينما نحن في منتصف الطريق بين عمان وجرش لاحت لنا عين ماء، فترجلنا وجلسنا، وأقبل أربعة خيّالة من الجراكسة فنزلوا على مقربة منا، وجعل أحدهم يحادثنا فلم أشك بادئ بدء في أنه جركسي، شاب أبيض اللون، يضرب شعره إلى الشقرة، في رأسه كوفية وعقال، وفي لغته شيء من العجمة. وبعد حديث عرفت أنه المعتمد البريطاني في جرش واسمه «منتون»!

* * *

بين جرش والحصن أحراج جميلة، وبعد جرش بنحو سبعة كيلومترات شجرة كبيرة تظل أكثر من مائة إنسان يسمونها «شجرة المنَوَى» تقام تحتها أفراح الكثيرين من أهل تلك البقعة ويقصدونها للزيارة والتبرك!

كان شكري القهوجي قد تخلف في جرش، وبقينا ثلاثة. وكان شريف شاهين يأبى إلا سلوك المجاهل، وهو بهاعليم، وبينما نحن في سيرنا إذا به قد حدّق ببصره، وقال: انظرا.. فنظرنا فلم نرَ شيئاً. فقال: هناك، في تلك الرابية خيال رآنا فانحدر إلى منعطف وادٍ لا بد لنا من سلوكه أجارنا الله من شرّه، فقلنا: وأجاره من شرك!

وبعد مسير نصف ساعة هبطنا الوادي، وقاربنا المنعطف، فقال شريف: تمهلا ولا تتدخلا في الأمر، وركض جواده فسبقنا قليلاً، ونحن على أثره. وعطفنا فرأينا منظراً كان يحسن بي تصويره لو أجيد التصوير: صدق شريف، فقد كمن لنا ذلك الخيال وترجل فربط عنان فرسه في يسراه واتكأ على قطعة من الصخر فصوب بندقيته وأقام ينتظر الواردين..!

وتخيل شريف موقف خصمه، قبل أن يراه، فصوب بندقيته إلى المكمن، وأغار بفرسه، فلم نر إلا بندقية شريف في صدر الكامن، ويد هذا ترتج ببندقيته، وما وسعنا إلا أن نتوسط العفو عنه، فصاح بنا شريف: ابتعدا، فهذه فرس حلال! فقلنا ما أقبح أن يقال غداً إننا سلبنا رجلاً فرسه.. وبعد جدال عنيف مع شريف أشار إلينا بالابتعاد راضياً فابتعدنا، وأمره بإلقاء بندقيته فألقاها، ولحق بنا شريف صاخباً من تدخلنا!!

* * *

ولاحت لنا بعد الخروج من قرية «الحصن» ذرى «حرمون» الشيخ وقد علاها الثلج، فأذكرتنا الشام وما كنا لننساها!

خرجت من إربد يصحبني دركي (خيال جندرم) وبعد اختراق وادي العفر وعدة قرى، بلغنا ناحية «كفر أسد» والمسافة بينها وبين إربد نحو اثني عشر كيلومتراً، وهناك جبن الدركي، وقد قيل له إن الطريق إلى جسر المجامع غير مأمونة.. فاصطحبني مدير الناحية بخيالين آخرين من الدرك، ومررنا ليلاً بقرية «مخربا» فبتنا فيها، وعاد الدركيان بعد أن تطوع مختارها واسمه موسى بمرافقتي إلى جسر المجامع. وانحدرنا في الصباح إلى منبسط الغور ومررنا ببناء فيه خمس قباب قيل لي إن فيها قبر معاذ بن جبل وابنه سليمان.. وحول البناء أراضٍ مزروعة يؤخذ عشر ما تنتجه لخدمة القبر وهي وقف له.

الثانية

أبلغني مشاور المعارف يوم 2 مايو (أيار) 1921 أن الإرادة المطاعة صدرت بتعييني مفتشاً للمعارف في المنطقة، فقبلت العمل بعد أن وافق رئيس المشاورين على أن تكون لي سلطة مدير (ولم يكن للمعارف مدير يومئذ) واشترطت شروطاً لا محل هنا لذكرها. واضطررت أن أجول في المنطقة جولة أعرف بها حال كتاتيبها!

ولعل القارئ لا يعرف أن مقاطعة شرق الأردن لم يكن فيها غير 23 مدرسة ابتدائية خلا اثنتين ثانويتين، ولا تزيد حصة المعارف السنوية على ستة آلاف جنيه!

وإلى القارئ إحصاء لما كانت عليه المدارس يومئذ:

المرتب الشهري جنيه	الوظيفة	العدد	المجموع/ جنيه
10	معلم	2	20
9	معلم	3	27
8	معلم	8	64
7	معلم	33	231
6	معلم	5	30
4	معلم	1	4
5	معلم	1	5
10	معلمة	1	10
8	معلمة	3	24
6	معلمة	1	6
5	معلمة	1	5
3	خادم	2	6
2	خادم	10	20
2	خادمة	3	6
			458

ويضاف إلى المجموع 42 جنيهاً في الشهر، نفقات متفرقة، يكون المجموع الشهري خمس مئة جنيه.. وهي تنفق في غير هذه البقاع على مدرسة ابتدائية واحدة..

أما هذه الرحلة الصغيرة (الثانية) فكانت في 19 مايو 1921 (11 شعبان 1339) مررت فيه بقرى وادي السير، وناعور، وخربة النابلسي، ومأدبا، ثم عدت إلى ناعور فوادي السير فقرية صويلح فالصلت، ومنها إلى عمان فبلغتها يوم 27 مايو.

* * *

وادي السير - بكسر السين المشددة - قرية نظيفة جميلة في وادٍ خصيب، تبعد عن عمان مسافة 7 كيلومترات إلى الشرق فيها نحو 250 بيتاً وأكثر سكانها من شراكسة القفقاس. نزلوا بها وعمّروها حوالي سنة 1300هـ.

لم أجتمع بأحد من شراكسة وادي السير إلا حدثني بقصص من وقائعهم مع «عبّاد» أقرب العشائر منهم. وبينما كان بعضهم يطرفني بشوارد من تلك الأنباء دخل أحدهم منهكا، فسأله، فقصّ عليّ أن بدوياً كان منذ اثنتي عشرة سنة قد دلّ شركسياً من قريتهم على عنز له ضاعت، واشترط أن يأخذ منه ريالاً مجيدياً، ولما وجد الشركسي العنز لم يكن معه غير نصف مجيدي وخاتم فضة فدفعهما إليه على أن يقابله في القرية فيعطيه الخاتم ويأخذ منه نصف المجيدي الباقي له. قال المحدث: واليوم أصبح صاحبنا (الشركسي) فرأى عبادياً قد ساق حماراً له وانصرف، فخرج يقفو أثره وتبعه بعض إخوانه فالتقوا العبادي واحتدم الجدال وكاد الخرق يتسع لولا أن أسرع أحد العقلاء فسأل العبادي عن سبب عمله، فقال: لي حق قديم!

فقيل: ما هو، فأخبرهم بقصة نصف المجيدي، فدفعوه إليه، ووهبوه الخاتم، وعادوا بالحمار!

* * *

وكان أهل وادي السير يعنون بالحياكة حتى أن أحدهم واسمه الشيخ موسى - وهو من تلاميذ الأزهر - أخبرني أن أمه كانت تنسج له كل ما على جسده قبل عشرين عاماً.

* * *

وأما ناعور فمن أطيب تلك البقاع مناخاً، بينها وبين وادي السير مسيرة ساعتين. فيها نحو 120 داراً، وهي محلتان متقابلتان: شرقية يسكنها المسلمون - وكلهم شراكسة - وغربية تسكنها عوائل مسيحية. عمرانها حديث يرجع إلى نحو عشرين سنة خلت. وأول من نزلها من الشراكسة الخص بك وهو شيخ طاعن في السن مهيب الطلعة لا يعرف غير الشركسية، كان أحد أبنائه الأنجاب يترجم بيني وبينه. وفي بيته عرفت أنه والد زوجة الأمير شكيب أرسلان أعلم الباحثين في شؤون الشرق الإسلامي اليوم.

* * *

ومأدبا أو (ميدبا) بُليدة عامرة أكثر سكانها مسيحيون. ولآثارها القديمة شأن سأتكلم عنه في فصل آثار المنطقة.

* * *

زرت، وقائمقامها، أحد أهاليها المسمى يوسف معايي. وقد أنعم عليه الأمير برتبة قائد (بيكباشي) الفخرية، فأخذت أرقب موقفه مع مهنئيه الذين توافدوا عليه يأكلون الحلوى ويشاركونه في سروره، فنبهني قائم المقام إلى رجل طاعن في السن لابس لباس البدو وينطق بلهجتهم وهو من أهل مأدبا - أقبل على «القائد» يهنئه برتبته فأجابه هذا: «عقبال عندك..!» وسمعت رجلاً يهنئه قائلاً: «عقبال ما نهنيك بالبشوية!» فبشّ في وجهه والتفت إلينا وهو يقول: بهمّة رجال حكومتنا!

* * *

وفي صباح اليوم الثاني كان أحد الذين هنئوا المعايي يشي لي فيه، ويطعن في إخلاصه.. ويقول: كيف يقدر هذا أن يقود أهل مأدبا؟ فضحكت وأفهمته أن الرتبة الفخرية غير ما يتوهم..

* * *

أما «صويلح» فغاية في جودة المناخ وعذوبة الماء وطيب الهواء، وهي على طريق السائر بين عمان والصلت، أهلها شراكس وشيشان وبيوتها نحو مئتين منها 120 للشيشان والبقية للشركس. وفي الناس من يسمي الفريقين شراكسة على أن بينهما فروقاً كثيرة في اللغة والعادات والمذهب، فلغة هؤلاء غير لغة أولئك، والشيشان شافعية والشراكس أحناف، والشيشان يتشددون في حجاب البكر ويتساهلون في حجاب المتزوجة خلافاً للشراكسة.

وعلى ذكر الشركس، أذكر من غرائب آدابهم أن الأب وابنه وحفيده لا يجتمعون في مكان واحد، نبهني إلى هذا أنني خرجت ساعة مع عبدالمجيد أفندي ابن الخص بك - في ناعور - نتنزه، ولما عدنا كان الخص بك جالساً وعلى يده طفل، فما كاد يرانا حتى نهض متوارياً عنا، عجبت لانصرافه فقيل لي إن الطفل هو ابن عبد المجيد أفندي وعبد المجيد ابن الخص والثلاثة لا يجمعهم مكان، ولو ظل الخص بك وحفيده في مكانهما لقفل رفيقك - عبد المجيد - راجعاً ملتمساً العذر لمفارقته إياك اضطراراً..!

* * *

ومثل هذا ما عرفته من أن آدابهم تمنع اجتماع الأب وبنته وصهره في مكان واحد، وتمنع جلوس المرأة مع زوجها على مائدة واحدة. ولا ريب في أن مصدر هذا كله الاستحياء.

* * *

وجرى حديث في الصلت عن البداة وطرائق النجاة من شر المعتدين منهم، فكثر المتكلمون، وكانوا جماعة، فلخصت حديثهم الطريف بما يأتي:

يمر السالك في البادية بالأعرابي، فينظر الأعرابي إليه نظرة الطامع به الوازن نفسه، هل يستطيع سلبه أم هناك ما يمنعه؟ فإن رجح له الأول اعترضه وإلا تأوه ولوى وجهه، وفي نفسه أن غنيمة عرضت له وفاتت!

ولا يخلو سالك البادية من أن يكون أحد ثلاثة:

1 - إما عزيز الجانب.

2 - أو في قوته ضعف.

3 - أو ضعيفاً بادي الانحلال.

فإن كنت الأول فلك أن تجري في الأرض مرحاً، وعليك أن تسلم على من تلقاه في طريقك وإذا نزلت حياً من أحياء العرب أو قرية من القرى تصدر المجلس تأمر وتنهى واطلب ممن أنت نازل عنده كل ما تحتاج إليه فإن المضيف الذي يسمونه (معزّب) يلبيك مسرعاً ويرى الشرف في خدمتك.

وإن كنت الثاني فاتبع النصائح الآتية:

1 - لا تسلم على أحد في طريقك ما لم يبدأك بالسلام فذلك أدعى للرهبة.

2 - اهمز جوادك لتظهر عليه علائم النشاط والقدرة على الكرّ والفر.. فإنهم إن استضعفوا دابتك طمعوا بك.

3 - لا تكثر من التلفت يميناً ويساراً وخلفاً، فإنهم يشعرون بأنك خائف فيعترضونك.

4 - كن جهوري الصوت إذا تكلمت مع أيٍّ كان.

5 - لا تكن منفرداً.

6 - إذا لقيت أناساً فتشاغل بالحديث مع رفيقك أو رفيقيك.

7 - إذا لاح لك عن بُعد أناس فضع بندقيتك أمامك كالمتهيىء للشر.

8 - إذا نزلت حياً أو قرية فلاطف المضيف (المعزّب) ولا تكثر من كلامك.

وإن كنت الثالث فخير لك أن تسالم من ترى فتسلِّم على الذاهب والآيب وتكثر من النزول في خيام العرب لتكسب مودتهم وإن اعترضك أحد بشر فلاطفه ولا تعنت وأولى بك أن تلقي إليه بما يطلب فذلك أحفظ لحياتك..



لـواء الكـرك

بيان رسمي عام وضعته قيادة القوة السيّارة وقدمت نسخة منه للحكومة سنة 1922



لم أجد فيها كتب حديثاً عن «الكرك» بحثاً أوفى أو إحصاء أمتع من هذا البيان الذي اشترك في وضعه ضباط «القوة السيّارة» الوطنيون، بعد أن أطالوا المكث في ذلك «اللواء» ودرسوا الموضوع حق دراسته، وليتهم أضافوا إليه بيانين آخرين أحدهما عن لواء البلقاء (الصلت وعمان وأطرافهما) والثاني عن لواء عجلون (إربد وعجلون وما يليهما) فلو فعلوا لخدموا تاريخ المنطقة الحاضر خدمة لا تُنسى. وقد ظفرت بنسخة من هذا البيان مطبوعة على الآلة الكاتبة «التايبرايتر» فاحتفظت بها إلى أن حان وقت نشرها:

أهالي هذا اللواء تغلب عليهم طبائع العرب الرحّالة، ولذلك فهم يمضون أيامهم وسنيهم تحت بيوت الشعر في الوقت الذي يمكنهم فيه بناء

البيوت الحجرية، غير أنهم لا يخرجون في الشتاء إلى البادية بل يبقون في داخل أنحاء اللواء.

ومن عربان هذا اللواء الرحالة قسم من بني عطية وقسم من الحجايا الذين أخذوا في الاقتداء بأهل اللواء يفلحون ويزرعون كغيث بن هداية شيخ الحجايا المقيم في قرية المحي.

ومن أشهر قبائل الكرك وعشائره: الطراونة والمعايطة والمجالي والحباشنة والضمور والمبيضين والنصارى والصرايرة والصعوب والنوايسة والقطاونة والشمايلة والعبيد والأغاوات والجلامدة والمحادين والمدادحة والذنيبات. ولهذه العشائر أملاك وأراض في القصبة وفي الخارج. ويتبعهم أهل القرى كالبرارشة وقريتهم كثربا، والبطوش بقرية خنزيرة، والعراقية في قرية العراق.

أما الخرشة والنعيمات والحجايا فهم يعتاشون من الماشية. وأما بنو عطية، وقسم من الحجايا الرحل الذين يشتون في البادية ويصيفون في لواء الكرك فهم يعتاشون كبقية العشائر الرحل.

ومن ملحقات الكرك في السابق بنو عطية وبنو حميدة وقضاء الطفيلة ومعان، وكان يلحقها قضاء العقبة من الوجهة العسكرية.

طبائعهم: يغلب على الزعماء من رؤساء هذه البلاد حب الرياسة (الأرستقراطية) والتحكم، ولا يخلون من خصائل حميدة كإكرام الضيف

والمحافظة على الجار. غير أنهم لا يرحمون قوة عسكرية سلمت لهم بعد الحروب ولا يبقون على جند سلم لهم عن ضعف. يحبون ركوب الخيل ولهم اعتناء زائد في تربيتها والمحافظة على أنسابها.

الطراونة:

أتت هذه العشيرة منذ نيف ومئة سنة من جهات وادي موسى وخيمت في وادي الحسا على مقربة من الكرك وسميت بهذا الاسم لأن رئيسها كان يدعى (الطرو) ومن الثابت أن هذه العشيرة هي فرع من عشائر النعيم فُصلت عنها حين نزوح تلك العشائر من نجد.

أنسابها: تنقسم عشيرة الطراونة إلى أربعة أفخاذ، يرئس كل فخذ أو فرع منها مختار ينتخب بأكثرية الآراء غير أن لهذه الفروع أجمع شيخ مشايخ تتصل به هذه الرياسة بالإرث خلفاً عن سلف.

حدودها: يحد أراضي هذه العشيرة من الجنوب وادي الحسا، ومن الغرب قرية كثربا والبرارشة والغوارنة، ومن الشرق الحماد والخط الحديدي وقسم من الحجايا، ومن الشمال المبيضون والضمور والصرايرة.

نفوسها: تخرج هذه العشيرة عند الحاجة من 200 إلى 250 خيّالاً ومن 400 إلى 500 راجل ثلثاهم مسلحون ببنادق ألمانية وثلث ببنادق تركية وإنكليزية.

ماؤها: يشربون من آبار «قرية سيدنا جعفر» وأم الزباير، وقرية رجم الصخر، ومن آبار قرية نجل وكل هذه القرى تبعد عن الكرك من 3-4

ساعات. ويشتد عليهم الظمأ حين الحاجة فيشربون من عين زقوقة وعين المقيمر اللتين تبعدان عن سيدنا جعفر مسيرة ساعة ونصف إلى الجنوب ويشرب بعضهم من نهر العراق ومن سبيل الحسا.

قلنا إن هذه العشيرة تنقسم إلى أربعة فروع وهي:

1 - أولاد جبرائيل مختارهم سالم بن محمد، وهم يخيمون صيفاً بأراضي سيدنا جعفر التي تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات إلى الجنوب الشرقي، ويخيمون أيضاً في جوار قرية أم الزبابر وينتقلون منها مع بقية أقسام العشيرة إلى قرية رجم الصخري والدليقة وأم حماط، وتبعد هذه القرى كلها عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات. ويدخرون في هذه القرى حبوبهم مع أبقار الحراثة والحراثين وينزحون في الشتاء إلى جوار الفريفرة والمنزل خوفاً على مواشيهم من البرد القارص وحرصاً على الماء. وعند هذا الفرع من العشيرة ما ينوف عن ثمانين رأس خيل يركبونها لرد الغارات من عربان البادية وذلك عند الحاجة.

2- أولاد جبران - مختارهم عتيق بن طاعة، وهو المنافس الوحيد لحسين باشا الطراونة في القسم الشرقي والجنوبي، غير أن منافسته لا شأن لها إذا اشتد الخطب.

3- عشيرة الطراونة الجامعية - مختارهم علي بن خلف وعدد منازلهم 40 داراً.

4- أولاد عودة - وعدد منازلهم 30 داراً.

ثم إن هذه الفروع تشترك مع الفرع الأول في المنازل وموارد الماء في الصيف والشتاء. أما مناسبات هذه الفروع بعضها مع بعض فحسنة جداً. ولهم تعلق بزعيمهم حسين باشا وقلما تنافس رؤساء هذه الفروع تنافس بقية العشائر. وموقعهم يجعلهم بارتباط شديد بعضهم مع بعض، وذلك لوجودهم في وجه غارات عربان البادية من الحويطات وبني عطية والشرارات والحجايا وغيرهم من العربان. وكذلك تجدهم يعتنون بالخيل والسلاح اعتناءً زائداً.

ماليتهم: تعد عشيرة الطراونة في الدرجة الأولى من حيث الغنى بين قبائل الكرك، وذلك لكثرة مواشيها واتساع أراضيها وانحصار همّ أفرادها في الأعمال الحيوية المشروعة. وهم أطوع عشائر الكرك للدولة المالكة وأكثرهم أبنية، وربما كان ذلك نتيجة سعي زعيمهم.

وأشهر قراهم سيدنا جعفر ومؤتة وأم الزبابر. وعلاقتهم مع مجاوريهم كأهل الطفيلة وغيرها من القرى حسنة وقلما تعدّوا على مال غيرهم. وهي القبيلة الوحيدة التي ترأس القسم الجنوبي في مقاومة القسم الشمالي كما جاء في السابق.

المجالي: يقدر عدد بيوتهم من مئة إلى مئة وثلاثين داراً وعدد نفوسهم من 600 إلى 800 منهم مئة وخمسون خيّالة ومئة راجل والبقية إناث وعجز.

وزعامة هذا اللواء تنحصر في هذه القبيلة منذ نيف ومئة سنة غير أن أمرهم أخذ في الضعف لتعدد الزعماء منهم وكثرة مطامعهم (الأرستقراطية) وانقسامهم.

أصلهم من تميم نجد نزحوا منها إلى الخليل وتولوا أوقافه ثم أن جدّهم المدعو «مجلي» أو «جلال» كان يأتي هذه البلاد لجمع الأموال لمقام سيدنا الخليل. ونظراً لسذاجة أهالي البلاد وكثرة حروبهم مع بني حميدة وقبائل العمر (حكام الكرك الأولين) بدأوا يعتقدون في الشيخ جلال الولاية والكرامة حتى أنهم كانوا يفوضون إليه الأمر في حل معضلات الأمور.

ومن ذلك الوقت استفحل أمر أولاد مجلي في البلاد وأبرزوا كل شجاعة في حروبهم مع بقية العشائر إلى أن أدى بهم الحال لرئاسة اللواء. وقد ظهر منهم رجال اشتهروا بالحزم والدراية، منهم محمد أبو رفيفان ونخص بالذكر قدر المجالي المشهور بتصلبه في الرأي والمحبة لجنسيته.

تنقسم هذه العشيرة إلى قسمين: 1 - اليوسف 2 - السلمان.

فرقة اليوسف: عدد منازلهم ستون داراً. وعندهم من الخيل ستون رأساً. يخيمون في الصيف بجوار قرية الربا التي تبعد عن الكرك ثلاث ساعات إلى الشمال ويستقون من آبارها المتجمعة ومن نهر المغيسل الذي يبعد عن الربا مسيرة ساعتين إلى الشمال الغربي. وفي الشتاء يخيمون في أرض الحاكمية والغويطة البعيدتين عن الكرك مسافة خمس ساعات إلى الشمال الشرقي. وماليتهم تعد من الطبقة الأولى ومختارهم إسماعيل بن صالح. ومن رجالهم رفيفان باشا وإخوانه دليوان رئيس البلدية وفريوان مدير ناحية العراق. والشيخ عطوى شيخ مشايخ اللواء، وزعل بك وغيرهم من الرؤساء.

فرقة السلمان: مختارهم فائز بن درويش، لا يزيدون عن الفرقة الأولى في عدد منازلهم، يخيمون في الصيف بجوار قرية القصر البعيدة عن الكرك مسيرة أربع ساعات إلى الشمال، وعند فقدان ماء المطر يقصدون نهر المغيسل، وفي الشتاء يخيمون في أرض البالوع البعيدة عن الكرك خمس ساعات إلى الشرق الشمالي، ويشربون في بعض الأحيان من نهر البالوع ومن الصهاريج والآبار الملأى من ماء السماء. ومن رؤسائهم نايف وشلاش مدير ناحية الحاكية وممدوح عضو محكمة الاستئناف.

والاختلاف دائم بين هاتين العشيرتين، والفرقتان ثقيلتا الوطأة على بقية عشائر الكرك بسبب مبادئهم الأرستقراطية ويوجد بين رفيفان من جهة وعطوى وأخيه إسماعيل من جهة أخرى برودة أساسها موت الشيخ قدر (وهو أخو عطوى) في السجن أي في دمشق على عهد الدولة التركية سنة 1914 حيث اتهم رفيفان بأنه حضّ جمال باشا على حبس الشيخ قدر. والمحبوب بين أهالي اللواء هو الشيخ دليوان المختص بفصل دعوى الدم.

أموال المجالي: وغناهم يعد من الدرجة الأولى بين عشائر الكرك.

عشائر المعايطة:

أكثر عشائر الكرك عدداً وهم أقرب إلى البداوة منهم إلى الحضارة يقضون أكثر فصول سنتهم تحت بيوت الشعر. وهم أهل غنم وبقر، منقسمون إلى أربعة أقسام يرأس كل قسم منهم مختار ويتبع الجميع الشيخ سلامة المعايطة ومنازل عشائر المعايطة ينيف عددها على مئة وثلاثين داراً،

وعدد خيلهم لا يتجاوز السبعين، وأكثرهم مشاة يقدرون بخمسمائة مسلح وزيادة. ماليتهم من الدرجة الثانية بعد الطراونة والمجالي.

1- **قسم الزقايلة:** فرقة الزقايلة عدد منازلها أربعون داراً، وخيلها عشرون. تخيم شتاءً في أرض القبيات التي تبعد عن الكرك أربع ساعات إلى الشرق. أما في الصيف فإنهم يأوون إلى مساكنهم في قرية «أدر» التي تبعد ساعتين عن الكرك، ويستقون من آبار «أدر» ومن ماء اللجون الجاري.

2- **فرقة أولاد مطلق:** يرأسها سليم بن أحمد المعايطة. عدد منازلهم 35 وخيلهم 12 يخيمون في الشتاء مع فرقة الزقايلة بأرض القبيات، وفي الصيف يشتركون في المنازل أيضاً مع الزقايلة في قرية أدر التي هي مقر فلاحتهم وزراعتهم. وكانوا قبل خمس سنوات عشيرة واحدة في زمن والد سلامة باشا الشيخ يوسف. غير أنه منذ وفاة الأخير وتساهل سلامة افترقت عنه هذه العشيرة.

3- **عشيرة الرشايد والمعايطة:** يرأسها الشيخ موسى بن ماهر، وهم عادة يسكنون في الشتاء في أرض تسمى «البويرة» وفي أرض تسمى وادي الصوان ويصيفون في قرية بتير التي تبعد عن الكرك ثلاث ساعات إلى الشمال الغربي، وهذه القرية بردها قارص شديد. ويستقون حين قلة الماء من نهر المغيسل.

4- **عشيرة عيال خليل:** يرأسها الشيخ أحمد بن سالم. وهم فخذان أيضاً: قسم منهم ساكن مع جماعة موسى بن ساهر. والثاني مقيم بوادي الكرك

الذي هو على طريق الغور، ويقال لهم: «العبيد» يسكنون قرية «مسكة» والعبيد يستقون من عين مسكة التي هي في داخل القرية وعدد بيوتهم 15 وخيلهم 11.

أحوالهم: قلنا إن المعايطة هم أقرب إلى البداوة منهم إلى الحضارة. وهم أكثر العشائر عدداً، ولذا تجد زعماء الكرك يتقربون منهم ومن مشايخهم. ولرفيفان باشا ميل عظيم لجلب سلامة باشا إلى جهته كما أن عطوى باشا يسعى لاستمالة موسى بن ساهر لحزبه.

سلامة باشا: هو زعيم عشيرة الطراونة، سليم القلب، يميل حيث اتجهت القوة، وهو أطوع لرفيفان باشا من بنانه، غير أن منافسة موسى وعواد ولدي ساهر المعايطة له في رياسة العشيرة تجعله يطيع الحكومة، وهما أغنى المعايطة وأكرمهم. والمعايطة كغيرهم من العشائر أتوا من جهات الطفيلة.

الصرايرة:

يضاهون المجالي بكثرة نفوسهم وهم من حيث تقسيمات الكرك العامة يتبعون القسم الشرقي أو الجنوبي بوجه التقريب، منهم مجاورون للطراونة في حلّهم وارتحالهم. لا زعيم لهذه العشيرة، غير أن أمورها كلها مفوضة إلى حسين باشا الطراونة. وعدد منازلهم من 185 إلى 190 داراً. ويتراوح عدد نفوسهم بين 600 و700 نفس وعندهم من الخيل 72 رأساً ويقدر عدد رجالهم المسلحين بنحو 350 منهم 100 خيّال والبقية مشاة يحملون أثقالهم

كبقية عشائر الكرك على ظهور البغال وقلما يعتنون بتربية الجمال. يدفعون للحكومة سنوياً عن أموالهم وأعشارهم وأغنامهم مبلغ 500 جنيه، وهو مقدار قليل بنسبة غناهم ومواشيهم.

وتنقسم عشيرة الصرايرة إلى ثلاثة أقسام يرأس كل قسم مختار كبقية الأفخاذ والأقسام وهم:

1- **فرقة أولاد داود:** مختارهم علي بن يحيى وعدد منازلهم 80 داراً وعندهم من الخيل 30 رأساً. وهم أغنى من بقية أفخاذ الصرايرة يخيمون في الصيف على مقربة من قرية مؤتة (المشهورة في وقعتها الإسلامية) التي تبعد عن الكرك ثلاث ساعات إلى الجنوب الشرقي ويستقون من آبارها المتجمعة من ماء الشتاء، وفي الشتاء يشتركون بالسكن مع الطراونة.

2- **أولاد علي:** مختارهم سلامة بن إبراهيم وعدد منازلهم أيضاً 80 داراً وعندهم من الخيول 30 رأساً، يخيمون صيفاً بالقرب من قرية «سول» التي تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات إلى الجنوب، وفي الشتاء ينزحون إلى محاذاة الخط الحديدي شرقاً حيث يرعون مواشيهم.

3- **أولاد مقبل:** مختارهم صالح بن مرزو وعدد منزلهم 25 داراً وعندهم من الخيل 12 رأساً، يخيمون في الصيف بقرب قرية «الدويخلة» التي تبعد عن الكرك 4 ساعات إلى الجنوب، وفي الشتاء يخيمون بوادي الحسا الذي يبعد عن الكرك مسيرة خمس ساعات ونصف وهم يستقون من مائه. وهم أضعف الأفخاذ المار ذكرها.

إن أفراد هذه العشيرة يعاملون بعضهم معاملة اشتراكية، ولهم معاملات حسنة مع مجاوريهم من القبائل، إذ لا مطمع لهم بغير الاشتغال في تحسين فلاحتهم ورعي مواشيهم، وقد بيّنا سابقاً أن هذه العشيرة لا تقتني الجمال كبقية العشائر التي تفضل اقتناء البغال عليها لوعورة البلاد وشدة بردها.

النصارى: وهم كغيرهم ومن القبائل ينقسمون إلى أقسام متعددة، وهم أقرب إلى المدنية من بقية العشائر المتوطنة في الكرك، غير أنهم لا يختلفون عنهم في المأكل والملبس والعادات، ويشتغل أكثرهم بالتجارة والفلاحة. والمسيحيون على العموم تقريباً يسكنون بيوت الحجر إلا القليل الذين يذهبون لرعي أغنامهم ومواشيهم في وقت الربيع.

ومن قرى المسيحيين قرية حمود السماكية وأدر وعليان والربا.

تقسيماتهم المذهبية: النصارى في الكرك ينقسمون إلى روم أرثوذكس وهم الأكثر عدداً ولاتين وهم الأقل وأكثرهم روم شرقيون.

عدد بيوتهم ونفوسهم: تقدر منازل جميع المسيحيين بـ 220 داراً تحتوي على 2000 ونيف من النفوس. منهم ما ينوف عن 600 مسلح، وعدد خيلهم قليل وهم لا يخرجون أكثر من خمسين خيالاً.

تقسيماتهم من حيث الأفخاذ: تنقسم عشائر النصارى (في الكرك) إلى سبع فرق، وهي:

1 – هلسة عدد منازلها 85.

2 – الحدادين 15 داراً.

3 – المدانات 15 داراً.

4 – الصناع 12 داراً.

5 – الزريقات 15 داراً.

6 – البقاعين 23 دارا.

7 – الحجازين 54 دارا.

الهلسة: أتى جد هذه العشيرة من مصر قبل مئة وخمسين سنة مع أخوين له فراراً من مظالم أصابتهم. وهذه الفرقة أكثر فرق النصارى عدداً وأغناها، يرأسها عودة بك القسوس، كلهم روم يتبعون بطريركية القدس، ويسكنون قصبة الكرك نفسها إلا قسماً منهم يسكن قرية حمود التي تبعد مسيرة ثلاث ساعات عن الكرك إلى الشمال الشرقي، ويقضون فصلي الصيف والشتاء في مواقعهم، ويرسلون أغنامهم إلى جوار قرية حمود والمساكية.

الحدادين: أقدم من عشيرة الهلسة في الكرك، كانوا قبلاً أصحاب الكلمة النافذة، غير أن تعديات العربان المتوالية في السابق أضعفتهم، وآخر مصيبة داهمتهم هي خراب قريتهم عليان قبل ثلاث سنوات. عدد منازلهم 15 داراً مذهبهم روم، وقيل إن الحدادين نزحوا من جبل لبنان وأنهم من بيت الحداد.

المدانات: أصل هذه العشيرة من بقايا غساسنة حوران عدد منازلها 15 داراً. مذهبا روم مختارها خليل المدانات الذي يخلو من نزعات وميول سياسية.

عشيرة البقاعين: أصلها من البقاع العزيز. مختارها عودة الإبارهيم. منازلها 13 يسكن قسم منها في قرية أدر وقسم في نفس القصبة مذهبها روم، ويخرج أحياناً بعض أفرادها لرعي مواشيه بجوار السماكية والجون.

الزريقات: مختارها متري بك الزريقان، بيوتها 15 تسكن في قرية الربا ونفس الكرك، ومن المذكور أن أصلها من «بصرى أسكي شام» من الزريقات الموجودين هناك. مذهبها روم.

عشيرتا الحجازين والعكشة: يسكنون قرية السماكية. مذهبهم لاتين ويتبعون كنيسة روما البابوية. ويسكن قسم منهم قصبة الكرك. مختارهم حنا أفندي الزيادين. كان معظم رؤسائهم الروحيين يشتغلون في أمور السياسية أكثر من اشتغالهم في أمور الدين، ولاسيما الخوري باسكال الذي استبدل به أخيراً راعي الطائفة الحالي الخوري جبرائيل، وهذا حسن السيرة محبوب في رعيته. وعدد منازلهم 54 داراً. والحجازين قيل إنهم نزحوا من الحجاز قبل مدة.

الصناع: يتبعهم المسنات وعائلة العزيزات وهم 12 داراً، يسكنون في الكرك ويشتغلون في التجارة أكثر من بقية الأفخاذ. ومنهم عائلة العزيزات التي ساعدت جيش خالد بن الوليد حين محاصرة «مؤتة المشهورة».

أحوال المسيحيين: النصارى في أكثر الأوقات ميّالون لمعاضد الدولة المالكة يعاضدونها بكل ما لديهم من الوسائل. وأما أعمال الأفراد القلائل ونزعاتهم اللاتينية فقد عاشوا منذ القديم مع إخوانهم بقية عشائر الكرك المسلمة بكل حب وولاء، وقد أصيبوا في بعض الأوقات باضطهادات لا تتجاوز سلب الأموال. وهم لا يفرقون بعاداتهم وأخلاقهم وملابسهم عن بقية العشائر.

العمر: أقدم عشائر الكرك وأعرقها نسباً. يدعون أنهم من بني عقبة، وأنهم من المحافظين على الكعبة قبل الإسلام. وتختلف الروايات عن كيفية مجيئهم إلى هذه البلاد، والأغلب أن دخولهم كان في صدر الفتوحات الإسلامية. حكموا الكرك مدة طويلة، غير أن كثرة مظالمهم ونفرة الأهالي منهم أضعفت أمرهم حتى تفوقت سائر العشائر عليهم وذبح منهم أناس كثيرون في حروبهم مع عشائر الكرك.

عدد بيوتهم 90 داراً وتقدر نفوسهم المسلحة بنحو 200 راجل و30 خيالاً، وهم منقسمون إلى خمس فرق، يعود أمر الجميع للشيخ سالم بن هارون، ولكل فرقة مختار كما هي العادة. وإليك أقسامهم:

1- **فرقة الرواملة**: عدد بيوتها 60 داراً. نفوسهم المسلحة 180 منهم 12 خيالاً. يسكنون صيفاً وشتاءً في القسم الشمالي من نهر البالوغ في شمال الكرك. مختارهم سالم بن هارون وإليه تعود رئاسة بقية الفرق.

2- **الشلالمة والجرادات**: عدد بيوتهم 15 ورجالهم المسلحة 40 منهم 10 خيالة. مختارهم حسين الشلالمة. يسكنون الجهة الشمالية من وادي ابن حماد ولا يفارقون هذه المنازل صيفاً ولا شتاءً.

3- **الفوائدة**: عدد منازلهم 8 ورجالهم المسلحة 10 و4 خيالة. مختارهم وادي الفوائدة. منازلهم قرب مخفر الموجب وبقرب نهر البالوع عند الزواملة.

4- **الغشاشمة**: مختارهم رشيد الغشاشمة. عدد منازلهم 4 رجالهم المسلحة 10 منهم خيال واحد و4 مشاة.

5- **اللصايمة**: عدد منازلهم 5 ورجالهم 8 ينزلون عند الحباشنة بقرية راكين.

أحوالهم جميعاً: تغلب على طباعهم العادات البدوية ولا يخلون من نزعات قديمة، ولذلك فإنهم ينظرون إلى عشيرة المجالي بنظر العداوة لاغتصابهم رئاسة البلاد منهم.

العمر: أراضيهم محلولة، وهم أشبه بالعرب الرحّالة، يدعي عطوى باشا شيخ المشايخ أن الأرض التي يفلحونها له، والحكومة السابقة (التركية) والفيصلية أيضاً عدت أراضيهم أراضي أميرة مشاعة. وقد استحصلوا على إرادة في الزمن الفيصلي بإعفائهم من رسوم الأعشار فقط.

ولا يبعد إن أصابهم ضيق شديد أن يفروا إلى جهة بني حميدة. والرأي أن تستعمل معهم الحكمة المقرونة بالشدة العادلة.

والفرقة الشاغبة الآن[1] هي فرقة الجرادات والشلالمة، وهي بعيدة في منازلها عن بقية الفرق، وعدد نفوسها المسلحة لا يتجاوز الأربعين، يسكنون ضفة وادي ابن حماد الشمالية.

المواجدة: يسكنون في القسم الفوقاني من قرية العراق التي تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات ونصف. ويسكن القسم التحتاني من القرية جماعة الحطيبات واليتمة والخطبة. ولا دخل لهم في فرقة المواجدة.

منازلهم نحو 30 داراً. ولا يتجاوز عدد المسلحين منهم 80 رجلاً مهنتهم الفلاحة والزراعة، يسكنون في قريتهم «العراق» صيفاً وشتاءً.

العراق: إحدى القرى التابعة لناحية كثربا. كان أهل هذه القرية في سنة 1326 أول من تعدى على القوة التركية وقتلوا مدير الناحية والضابط وذبحوا عشرين جندياً، ما حدا بالأتراك أن يستعملوا الشدة معهم حتى أنهم قتلوا منهم ما ينوف على السبعين من أهالي قرية العراق نفسها أكثرهم من فرقة المواجدة. وفي زمن الحكومة الفيصلية أيضاً امتنعوا عن دفع الأموال حتى اضطر زكي بك قائد قوة الكَرك أن يسوق عليهم قوة مع مدفع جبلي.

مختار المواجدة: عطا الله بن مسلم المواجدة. وهم مع عنادهم هذا محكومون بطبيعتهم لعشيرة المجالي التي تستوفي منهم «الخاوة» حسب عادة

(1) أي وقت كتابة هذا التقرير وذلك في خلال سنة 1922.

العربان. والمواجدة منذ القديم يقطنون في قريتهم هذه، وبجوارها حينما يخرجون لرعي أغنامهم. وقد قتل الترك زعيمهم مسلم المواحدة لتمرده في الحادثة المشهورة سنة 26 مالية.

والمواجدة قسمان: 1- فرقة عبد بن محمد و2- فرقة عطا الله بن مسلم. والفرقتان يرأسها عطا الله بن مسلم. والمواجدة يدعون أن أصلهم من بني حسن القاطنين بقضاء عمان وعجلون.

القطاونة: من عشائر الكرك، عدد منازلها 55 داراً. وعدد رجالها المسلحة ينيف على 130 منهم 31 خيالاً والبقية مشاة. أما تشكيلاتهم البدوية فتثبت ادعاءهم القائل بأن أصلهم من عربان «قطية» الضاربة في صحراء سيناء ولذلك لقبوا بالقطاونة نسبةً لبلدتهم الأصلية قطية. ينحازون بنسبة تحزبات لواء الكرك إلى القسم الجنوبي والشرقي وتعود زعامتهم العامة إلى حسين باشا الطراونة.

أقسامهم: تنقسم عشيرة القطاونة إلى قسمين:

1- **فرقة أولاد سلامة:** ومختارهم حمود بن مطلق وعدد بيوتهم 20 منزلاً وعندهم من الخيل 15 رأساً وماليتهم من الدرجة الوسطى، يسكنون صيفاً وشتاءً في بيوت الشعر، وفي أرضهم المسماة «مجرى» المشتركة مع أراضي سيدنا جعفر، وينزحون في موسم الربيع إلى قرى وادي الحسا لرعي أغنامهم وللاستقاء من ماء النهر الجاري.

2- **فرقة أولاد علي**: مختارهم مطيع بن يوسف وعدد منازلهم 35 منزلاً وعندهم من الخيل 16 وماليتهم من الدرجة الوسطى، يشتون في وادي الحزيم بجوار عشيرة الخريشة النازلين بالقرب من وادي الحسا ويصيفون بجوار قرية سيدنا جعفر الواقعة على مسيرة ساعتين إلى الجنوب من الكرك والتي يقال إن المدفون فيها سيدنا جعفر الطيار الذي استشهد في وقعة مؤتة المشهورة.

النوايسة: مختار عشيرتهم إبراهيم بن مشوح وعدد منازلهم 50 وعندهم من الخيل 25 رأساً، وماليتهم من الدرجة الوسطى، لا يتجاوز عدد المسلحين منهم 100 مسلح منهم 25 خيالاً والبقية مشاة.

ترجع زعامتهم كالقطاونة على حسين باشا، ويحزبون إلى القسم الجنوبي. يشتركون مع القطاونة في الأراضي والمصيف والمشتى، وقد نزحوا قديماً من وادي موسى واستوطنوا أراضي الكرك كغيرهم من العشائر.

الشمايلة: من عشائر الكرك المشهورة. تلقبوا بالشمايلة نسبةً إلى الشمال لأنهم نزحوا من قرية «تل شهاب» من أعمال لواء حوران، ولهم في تلك القرية أقارب وأولاد عمومة إلى هذا الحين. اشتهروا بالشجاعة في أكثر مواقعهم. تقدر بيوتهم بنحو 150 داراً ونفوسهم المسلحة من 350-400 رجل منهم 30 خيّالاً والبقية مشاة. وهم معدودون في العشائر من أهل القسم الشمالي والغربي غير أنهم خصوم للمجالي ورئاستهم لعبد المهدي الشمايلة وغازي الشمايلة.

أقسامهم: تنقسم عشيرة الشمايلة إلى ثلاثة أقسام: 1- الشمايلة 2- المحادين 3- المدادحة.

فرقة **الشمايلة**: عدد بيوتها نحو 80 وعدد رجالها المسلحين 140 منهم 15 خيالاً والبقية مشاة ومختارهم غازي الشمايلة الذي تعود إليه زعامة الفرق الباقية. يسكنون قرية «الإفرنج» التي تبعد عن الكرك مسيرة ساعة واحدة إلى الغرب الجنوبي وهذه القرية مشهورة بعذوبة مائها ولطافة هوائها خصوصاً في فصل الصيف وهي محاطة بكروم العنب حتى أنهم لقبوها بـ«مصيف الكرك» وهم يرسلون مواشيهم للرعي في جهات وادي الكرك.

المحادين: مختار فرقة المحادين خلف بن رمضان وعدد بيوتها 40 ونفوسهم المسلحة 120 منهم 10 خيالة والبقية مشاة. يسكنون صيفاً وشتاءً في قرية «الإفرنج» ويرسلون أغنامهم للرعي في جهات وادي الكرك.

المدادحة: مختارهم سالم بن حماد عدد بيوتهم 30 ونفوسهم المسلحة 90 منهم 4 خيالة والبقية مشاة. يسكنون قرية عين نون المجاورة لقرية «الإفرنج» ويشتركون في المصيف والمشتى مع الشمايلة.

أموالهم: الشمايلة مشهورون في الفلاحة خصوصاً في كروم العنب، أغنياء من الدرجة الأولى، يدفعون للحكومة ما يقرب من 40000 قرش سوري[1] مع تعداد الأغنام وكل الرسوم، وهو شيء يسير بالنسبة إلى غناهم.

---

(1) باعتبار الجنيه المصري 112 قرشاً سورياً.

مناسباتهم مع بقية العشائر حسنة ودليل أمورهم في كل مهمة عبد المهدي الشمايلة المار ذكره. وهم أطوع للحكومة من بقية العشائر.

الحباشنة: أفقر عشائر الكرك وأقلهم حيلة في تدبير أمورهم ولذلك فهم يتحزبون إلى المجالي وينقادون إليهم عن فقر وضعف في المال. ويقول الحباشنة إن أصلهم من عشائر قيس اليمانية وإنهم نزحوا من نجد مع من نزح من العشائر وتوطنوا في هذه البلاد وذلك بعد الإسلام.

أقسامهم: عدد بيوت عشيرة الحباشنة 210 ونفوسهم المسلحة 400 منهم 30 خيالة والبقية مشاة. ينقسمون إلى ستة أقسام: 1- جعافرة. 2- عرود. 3- عساسفة. 4- رهايفة. 5- رماضين. 6- عويسات.

1- **الجعافرة:** نفوسهم المسلحة 200 رجل منهم 50 خيالاً والبقية مشاة. مختارهم عطوة الجعافرة وإليه تعود رياسة الحباشنة كافة. يسكنون في الكرك وقرية راكين التي تبعد عن الكرك مسيرة ساعة ونصف إلى الشمال. يشربون من ماء المطر المتجمع بقرية راكين ويصيفون بقرية راكين وبوادي ابن حماد وينزل قسم منهم في الجانب الشمالي من وادي الكرك المسمى بقسم حبيش.

2- **العرود:** مختارهم سلمان العرود عدد بيوتهم 15 ونفوسهم المسلحة 30 وعندهم من الخيل 3 رؤوس يصيفون ويشتون مع الجعافرة بقرية راكين بوادي الكرك.

3- **الرماضين:** مختارهم عبد ربه الرماضين. عدد بيوتهم 15 ونفوسهم المسلحة 30 منهم 3 خيالة والبقية مشاة. يشتركون في المرعى والمصيف والمشتى مع بقية الفرق.

4- **العساسفة:** مختارهم محمد بن علاوي عدد بيوتهم 20 ونفوسهم 40 مسلحاً مهم أربعة خيالة والبقية مشاة.

5- **الرهايفة:** مختارهم عبدالمعطي، عدد بيوتهم 20 ونفوسهم 35 مسلحاً منهم خيالان والبقية مشاة.

6- **العويسات:** مختارهم تيم العويسات بيوتهم 30 ونفوسهم 50 مسلحاً منهم ثلاثة خيالة.

تعود رئاسة الحباشنة إلى الشيخ عطوة الجعافرة وعبد المعطي الحباشنة وهذه العشيرة معدودة من القسم الغربي تنحاز إلى المجالي، أفرادها فقراء تغلب عليهم شراسة الطباع. يدفعون للحكومة ما يقرب من 60000 قرش سوري مع تعداد الأغنام.

الضمور:

عشيرة الضمور معدودة من قسم الشراقة (جماعة حسين الطراونة) عدد بيوتهم 170 ونفوسهم المسلحة تقرب من 400 نفس منهم 50 خيالاً والبقية مشاة.

أموالهم: وهم يعدون من الدرجة الأولى من حيث الغنى والثروة تعود زعامتهم العمومية إلى حسين باشا الطراونة. وهم أقرب للسكينة من سواهم.

أقسامهم: تنقسم عشيرة الضمور إلى خمسة أقسام: 1- عضايلة 2- السحيمات 3- عيال ربيع 4- آل طه 5- جراجرة.

1- **العضايلة:** عدد بيوتهم 30 ونفوسهم المسلحة نحو 70 منهم 8 خيالة والبقية مشاة. مختارهم سالم العضايلة.

2- **السحيمات:** عدد بيوتهم 30 ونفوسهم 65 مسلحاً منهم 8 خيالة والبقية مشاة. مختارهم عطا الله أفندي السحيمات رئيس محكمة الحقانية في الكرك.

3- **عيال ربيع:** عدد بيوتهم 40 ونفوسهم 85 مسلحاً مهم 15 خيالاً والبقية مشاة. مختارهم مرزوق بن ذياب.

4- **آل طه:** عدد بيوتهم 60 ونفوسهم 130 مسلحاً منهم 19 خيالاً والبقية مشاة. مختارهم عبدالعزيز بن خليل.

5- **الجرارجة:** عدد بيوتهم 20 ونفوسهم 50 مسلحاً منهم 3 خيالة والبقية مشاة.

يسكن قسم من عشيرة الضمور في قصبة الكرك نفسها، والبقية في بيوت الشعر ومنازل هؤلاء في الصير والغوير اللذين يبعدان عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات إلى الشرق. ويشربون من آبار الخربتين المذكورتين ومن آبار خربة البتراء الواقعة على مسيرة 3 ساعات لجهة الشرق.

والضمور يصيفون ويشتون في الموقعين المذكورين لرعي أغنامهم ومواشيهم.

يدفعون للحكومة سنوياً نحو 50 ألف قرش سوري مع تعداد الأغنام.

ويثبت التواتر أن أصل الضمور والصعوب والمبيضين من بقايا الغساسنة الذين اعتنقوا الإسلام بعد امتداده.

عشيرة الصعوب: من عشائر الكرك المتوسطة الحال والمال. يغلب على أفرادها حب المعيشة البدوية. ويتبعون من حيث تقسيمات الكرك العمومية القسمين الشرقي والجنوبي. زعيمهم حسين باشا الطراونة. وأصلهم من جهات حوران.

عدد بيوتهم 40 ونفوسهم المسلحة 100 رجل منهم 10 خيالة والبقية مشاة. مختارهم حطاب الصعوب. مشتاهم ومصيفهم بلدة الكرك وقرية الثنية التي تبعد مسيرة ساعة إلى الشرق. تدفع هذه العشيرة مع تعداد الأغنام ما يقرب من 30000 قرش.

عشيرة المبيضين: عدد بيوتها 45 ونفوسها المسلحة 120 منهم 12 خيالاً والبقية مشاة. مختارهم مصطفى بن يوسف المبيضين. يسكنون قصبة الكرك وقرية الثنية. تعود زعامتهم إلى حسين الطراونة، يشتون ويصيفون بالثنية وجوارهم. يدفعون للحكومة سنوياً رسوما تقارب 25 ألف قرش سوري ويشتركون في منشئهم مع عشيرتي الضمور والصعوب.

عشيرة القضاة: عدد بيوتها 25 ونفوسها تقرب من 56 مسلحاً منهم 5 خيالة والبقية مشاة. مختارهم سلمان بن سالم القضاة، وشيخ مشايخهم حسين باشا الطراونة. يسكنون قرية محي التي تبعد عن الكرك مسيرة 7 ساعات إلى الشرق، وتبعد عن محطة الحسا مسيرة ساعتين إلى الجنوب الغربي، وهذه القرية يقطنها أيضاً شيخ مشايخ الحجايا غيث بن هداية.

القضاة يشتون ويصيفون بقرية محي المذكورة وهم فقراء بالنسبة لغيرهم والقضاة فرع من قضاة بني صخر، وبينهم قرابة.

توابع عشيرة المعايطة:

1 - **العبيد:** عدد بيوتهم 40 ونفوسهم المسلحة 120 منهم 10 خيالة والبقية مشاة مختارهم الحاج عد ربه. تعود زعامتهم لسلامة باشا المعايطة يسكنون في قرية العبيد الواقعة في غور المزرعة على بُعد ساعتين عن الكرك غرباً. يشتون في قريتهم ويصيفون في وادي الكرك لرعي مواشيهم. حالتهم متوسطة.

الأغاوات: فرع من المعايطة عدد بيوتهم 25 ونفوسهم المسلحة 60 منهم 8 خيالة والبقية مشاة. مختارهم ذياب الطاهر. شيخ مشايخهم سلامة باشا المعايطة يسكنون قرية السمرة الواقعة على طريق غور المزرعة ويصيفون في وادي الكرك.

الطنشات: عدد بيوتهم 15 ونفوسهم المسلحة 40 منهم 3 خيالة والبقية مشاة يصيفون ويشتون في قصبة الكرك، فقراء الحال، تعود زعامتهم إلى سلامة باشا.

الجلامدة: عدد بيوتهم 20 ونفوسهم المسلحة 60 منهم 4 خيالة والبقية مشاة مختارهم حمود الجلامدة. يسكنون القصبة ووادي الكرك صيفاً وشتاءً حالتهم متوسطة، تعود زعامتهم إلى سلامة باشا المعايطة.

العبيسات: عدد بيوتهم 20 ونفوسهم المسلحة 60 منهم 5 خيالة والبقية مشاة. مختارهم فلاح العبيسات، زعيمهم سلامة باشا، قريتهم سمرة يشتون فيها، ويصيفون بوادي الكرك، ماؤهم نبع.

البياضة: عدد بيوتهم 40 ونفوسهم 100 منهم 15 خيالاً والبقية مشاة. مختارهم فرحان بن جعفر، قريتهم «مدين» تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات إلى الجنوب. مصيفهم ومشتاهم في القرية المذكورة. زعيمهم سلامة باشا المعايطة.

يظهر من مطالعة أحوال عشائر الكرك أن عشيرة المعايطة أكثرها عدداً، يتوفر فيها المال والرجال، ولذلك تجتهد المجالي لاستمالة هذه العشيرة وزعيمها.

ومع كثرة عددها ينقصها زعيم حازم لإدارة شؤونها ويستدل من سير الوقائع السابقة على أنه كثيراً ما استفاد أرباب المطامع الشخصية من هذه العشيرة.

عشيرة الكفاوين: مختارها حامد الكفاوين، عدد بيوتها 30 ونفوسها المسلحة 60 مهم 7 خيالة والبقية مشاة. والكفاوين يتبعون القسم الغربي الشمالي.

قريتهم «الجديدة» تبعد عن الكرك مسيرة ثلاث ساعات إلى الشرق الشمالي، يشربون من ماء الآبار المتجمعة من ماء المطر. يصيفون ويشتون في جوار القرية لرعي مواشيهم.

الذنيبات: عدد بيوتهم 40 ونفوسهم 80 مسلحاً منهم 15 خيالاً والبقية مشاة مختارهم عبد المهدي الخوالدة. يشتركون مع الكفاوين في قرية الجديدة. والذنيبات اليوم نازحون إلى الجهة الشمالية من سيل الموجب ونازلون عند بني حميدة بسبب عداوتهم مع عشائر المعايطة.

عشيرة قوم الجد: للمجالي فرع ثالث يسمى «قوم الجد» تقدر بيوته بثلاثين. نفوس هذا الفرع المسلحة 80 منهم 10 خيالة والبقية مشاة. زعيمهم عطيوي باشا المجالي. يسكنون في فصل الشتاء قرية مدين ويصيفون بجوارها لرعي مواشيهم.

قرية العراق: في لواء الكرك (عدا العشائر المعروفة) أهل قرى ينظر إليهم العشائر بنظر الضعف والمسكنة ولكل قرية «أخ» يتقاضى (الخاوة) حسب الأساليب المعروفة بين القوي من العشائر والضعيف. فأهل قرية العراق محكومون بطبيعتهم وبحسب التقاليد القديمة لعشيرة المجالي التي تتصرف بأموالهم كيف شاءت وذلك في زمن الفوضى وضعف الحكومة. وتقسم قرية العراق إلى قسمين: فتسكن في القسم الجنوبي منها عشيرة المواجدة وفي القسم الشمالي عشيرة الحطيبات والخطبة والتيمة. وماؤها نبع جار.

المواجدة: كتب عنهم فيما سبق.

الحطيبات: عدد بيوتهم 15 ونفوسهم المسلحة 40 منهم 3 خيالة والبقية مشاة. مختارهم عبد بن ضيف الله. يصيفون ويشتون بقرية العراق وجوارها.

الخطبة: بيوتهم 16 يخرجون 45 مسلحاً منهم 4 خيالة والبقية مشاة مختارهم حسين الخطبة يشتركون مع الحطيبات في المشتى والمصيف.

اليتمة: بيوتهم 14 ونفوسهم 38 مسلحاً مهم خيالان والبقية مشاة مختارهم حسين اليتمة، يشتركون مع أهل العراق في المرعى.

حزب الاستقلال العربي



لست هنا في مجال الإفاضة والإسهاب في تاريخ هذا الحزب المعروف بنزعته الاستقلالية الخالصة، ولا أرى باعثاً يدعوني إلى بيان ما أصاب الكثيرين من أعضائه، المنبثين في ديار الشام - سورية وفلسطين ولبنان - والعراق والحجاز ومصر، والموغلين في جزيرة العرب، والقائمين بالدعوة في أوروبا وأميركا وغيرهما. فذلك مما يحتاج إلى كتاب يفرد له. ولكن حسبي أن أقتصر، والبحث في عمان وأطرافها، على ما كان فيها من تأسيس فرعه المركزي وأسبابه، وموقف أعضائه مع الأمير عبدالله.

* * *

جلس رشيد بك طليع، إثر تأسيسه حكومة شرق الأردن، يحادث الأمير عبدالله في مضربه برابية مركة، فقال الأمير: ما هذه الأحزاب التي كانت تعمل في دمشق؟ لقد كنا نسمع أنباءها ونعجب لما لها من التأثير في سياسة البلاد.

فقال رشيد بك: تلك سنّة الأمم تختلف فيها المنازع وتكثر الآراء، فتتحد جماعات جماعات، لكل منها رأي خاص في سياسة الدولة، فتنشأ عن وحدة الرأي في هذه الجماعات صلة بين أفرادها، فيتضامنون، فتكون الأحزاب.

فقال الأمير: أعرف شيئاً من هذا أيام كنا من أعضاء مجلس النواب العثماني في الأستانة[1] ولكن ما لي أرى تلك المنازع والجماعات التي تذكرها لا أثر لها في بلادنا هذه؟

فقال رشيد بك: اختفاء الأثر لا يدل على فقدان المؤثر، فقد تكون هنا أحزاب اختارت السكون بينما يتضح لها منهاج الحكومة ولا ريب في أنها ستظهر حين تصدر إرادة سموكم بجمع المجلس النيابي الذي وعدتموني به.

وهنا أدرك رشيد بك سنوح الفرصة للاعتراف بحزب الاستقلال في المنطقة اعترافاً رسمياً، وهو من أعضائه، ففاتح الأمير بالأمر، فوافق مشترطاً شرطا واحداً سيأتي ذكره.

* * *

وفي اليوم الثاني دعا رشيد بك من كان في عمان من أعضاء الحزب وكنت في جملتهم، فحدثنا بأن الأمير راغب في أن يرى حوله حزباً سياسياً

(1) كان الأمير عبدالله من مبعوث الحجاز، وكان رشيد بك مبعوث حوران.

يعمل لمصلحة البلد العربية وأنه (أي رشيد بك) عرض عليه اسم «حزب الاستقلال العربي» فرضي بأن يستأنف الحزب أعماله في عمان..

* * *

كان في عمان عدد غير قليل من رجال الحزب، تفرقوا بعد فاجعة دمشق، ولم يروا أن يفتحوا باب الأحزاب في شرق الأردن مخافة أن يصمهم واصم بالشغب فآثروا أن ينتظروا الساعة التي تقضي بظهورهم حزباً أو كتلة فيبرزوا إلى الميدان. ولما فاجأتهم دعوة أخيهم رشيد بك عقدوا جلسة دارت المناقشة فيها حول ما يأتي:

1- ما السبب الحقيقي الذي دعا الأمير إلى التفكير بوجود حزب سياسي في المنطقة؟

2- لماذا يشترط عليهم رشيد بك (بصفته مرجع حكومة المنطقة) أن يتعهدوا في بيانهم الذي سيقدمونه للحكومة بأن لا يتدخلوا في شؤون المنطقة الإدارية.

3- هل من ضرورة تقضي بظهور الحزب رسمياً في ذلك الحين؟

* * *

لم يشك أحد منهم في أن للأمير غرضاً يرمي إليه بظهور الحزب، ولكن ما هو؟ أخير أم شر؟ من يدري! على أن أكثرهم كان يغلب عليهم التفاؤل

لثقتهم بأن مرجع الحكومة (الكاتب الإداري) منهم، ولما كانوا يرونه في الأمير من وطنية وحماسة فقالوا: لنمض في عملنا وما يكن فليس بأشد مما كان..

وأما الشرط، فكان موضع عدم رضا البعض، لماذا يشترط مرجع الحكومة أن لا يتدخل الحزب في شؤون المنطقة؟ وهل هي إلا من بلاد العرب التي يعمل الحزب ويدأب لاستقلالها؟ أليس على أعضاء الحزب أن يقاوموا، ما استطاعوا، كل سوء يراد ببقعة من بقاع العرب؟

تساءل المجتمعون كثيراً، وذهب فريق منهم إلى تفضيل ما هم فيه على أن يظهروا بصفتهم الحزبية مغلولي الأيدي عن مقاومة كل ما قد تأتي به الأيام.

وتوسط الجمع أحدهم وهو خالد بك الحكيم، وقد رأى إصرار رشيد بك بصفتيه الرسمية والحزبية، فقال: أيها الإخوان! ألا تنظرون إلى بعض الأمهات يلقين على جباه أطفالهن قطعاً صغيرة مكتوباً عليها «ما شاء الله» معلقة بخيوط؟ ألا يلوح لكم أن الأم حين تضع هذه «العوذة» على جبهة طفلها تعتقد أنها وَقَتْه كل شر؟ كذلك حكومتكم هذه تريد أن تقي موافقتها الرسمية على ظهور الحزب بعوذة هي هذا القيد! وكما أن «عوذة ما شاء الله» خرافة لا قيمة لها كذلك هذه المادة التي يريد الأخ رشيد أن يزجها في بيان الحزب للحكومة!

* * *

وذهب أكثر المجتمعين إلى فكرة استئناف الحزب بعمان أعماله، عسى أن يتم على يديه خير. فكتب القرار، وانتخب الأعضاء الإداريون، وصدرت الرخصة الرسمية.



من أمير إلى أمير



كان في مقدمة من انتبه إلى وجوب اتخاذ شرق الأردن قاعدة حرة للعمل في جوار سورية، كبير من آل أرسلان، عالج القضية الوطنية في بلاد العرب، على غير اتصال بأمراء الحجاز، هو الأمير عادل نائب جبل لبنان في مجلس النواب العثماني أيام الترك، وحاكم لبنان بعد انسحابهم. وهو الذي استدعاه الأمير فيصل إلى دمشق وجعله معاوناً لحاكم سورية العسكري العام، ثم مستشاراً لديوان الإمارة، إلى أن تناولته السلطة العسكرية المحتلة في سورية مع من تناولت بأحكامها الغيابية الجائرة.

* * *

بلغه تقدم الأمير عبدالله إلى شرق الأردن، وهو في برلين يتنقل بينها وبين عواصم أوروبا معلناً فضائح ما يسمونه الانتداب، فبادر يخترق البحار حتى بلغ عمان على أثر وصول الأمير عبدالله إليها.

ورحب به عبدالله كل الترحيب، واتخذه كاتباً خاصاً (سكرتيراً) له ورئيساً لديوانه.

قوى الأمن

كانت قوى الأمن في المنطقة، قبل تولي الأمير عبدالله رئاسة حكومتها، مؤلفة من قوتين:

الأولى: الدرك الوطني (الجندرمة) وعددها ضئيل، يقودها ضباط بعضهم من أهل المنطقة وآخرون مما جاورها، وكلهم من بقايا موظفي الحكومة العربية السورية، وأكبرهم رتبة القائد (البيكباشي) عارف بك الحسن قائد درك الصلت.

والثانية: «القوة السيّارة» وهي مؤلفة من سرية (بلوك) فرسان عددها نحو 75 فارساً، و25 جندياً رشاشاً معهم رشاشتان من نوع «مكسيم» كان مركزها «عمان» وقائدها بيك بك. وقد تألفت هذه القوة بعد انفصال شرق الأردن عن سورية الشمالية، وتعهد البريطانيون بالإنفاق عليها.

* * *

ولما قدم الأمير عبدالله وتوحدت أجزاء المنطقة، جعلت قوى الأمن فيها أربعاً:

1 - **قوة الدرك الثابت:** بقيادة القائد عارف بك الحسن، وعددها المقرر 550 جندياً. ولكن كانت أقل من ذلك.

2 - **كتيبة الدرك الاحتياطي:** بقيادة القائد فؤاد بك سليم، وعددها المقرر 400 فارس، ولكن عددها الحقيقي لم يجاوز مئة وخمسين فارساً لأنها حُلت قبل إتمام التجنيد وعدل عنها إلى تأليف القوة السيارة التي سيأتي الكلام عنها فيما بعد.

3 - **الكتيبة النظامية:** قائدها القائد أحمد بك الإسلامبولي (من أهل بيروت) وعددها نحو مئتين من المشاة.

4 - **قوة الهجانة:** عددها نحو مئة هجان عقيلي وقائدها نجدي يُعرف بابن رميح ومرجعه الشريف عقاب بن حمزة من رجال الأمير عبدالله.

وأصبح مرجع القوى الأربع مشاور الأمن والانضباط علي خلقي بك أما بيك بك الضابط البريطاني فقد ظل زمناً متمتعاً بلقب «مفتش الدرك العام» ولا سلطة له على قوة ما، لأن «القوة السيّارة» التي كان يقودها ألحقت بقوة الدرك الاحتياطي.



حـادثـة الكـــورة

أسبابها ونتائجها



لم تصب حكومة شرق الأردن بحادث كان أشد عليها وقعاً، وأبلغ فيها تأثيراً، من هذه الحادثة التي فاجأتها في إبان تسلمها العمل، فكسرت من حدة نشاطها. وقد كتبت الصحف عنها كثيراً في حينها، إلا أنها لم توفها حقها من الوصف بل كان كل ما كتب عنها مشوهاً محشواً بالأغاليط، فرجعت عند كتابة «مذكراتي» هذه إلى أعرف الناس بخفيها وجليها، الصديق الفاضل المعروف «فؤاد بك سليم» وقد كان قائد القوة التي هاجمت العصاة وأصيب في الواقعة بجرح شفاه الله من أثره، فكتب هذا الفصل الممتع مستنداً فيه إلى ما هو محفوظ لدي من وثائق وكتابات رسمية.

سمعت بالكورة للمرة الأولى في صيف سنة 1920 إذ كنت في إربد في ضيافة قائم المقام العسكري علي خلقي بك وكانت منطقة شرق الأردن

إذ ذاك مقسومة إلى أقسام ثلاثة هي إربد والصلت والكرك، وفي كل من هذه الأقسام حكومة مستقلة في إدارتها عن الحكومتين الأخريين، يدير الأولى منها مضيفي علي خلقي بك ويعاونه في ذلك صديقي المرحوم القائد محمود بك أبو راس الذي كان قائداً للدرك فيها. وكان في المنطقة رجال من الإنكليز باسم معتمدين يسهرون على مصالح حكومتهم ويمهدون السبيل لأغراض سياستها. وفي جملة هؤلاء المعتمدين «الماجور سمرست» الذي كان معتمداً لحكومته في إربد المذكورة ثم صار فيها بعد عضواً في مجلس اللوردات البريطاني باسم «اللورد رجلان».

وفي ليلة وصولي إلى إربد دار حوار بين الماجور سمرست المذكور وعلي بك خلقي فهمت منه أن داء الانقسام لم يقف عند حد انقسام منطقة شرق الأردن إلى حكومات ثلاث كما أسلفت، بل جاوزه إلى انقسام حكومة إربد نفسها إلى بضع مقاطعات كل منها تنزع إلى البقاء منفصلة عن أخواتها.

وفي جملة هذه المقاطعات مقاطعة الكورة التي كانت في عهد الحكومة العربية ناحية يحكمها مدير وكانت في العهد العثماني جزءاً من مديرية يؤلف مع غيره مديرية ترجع في شؤونها إلى قضاء عجلون ومركزه إربد. وكان همّ علي خلقي بك في ذلك الحين أن يوحد هذه الحكومات الصغيرة التي يتألف منها قضاء عجلون في حكومة واحدة تمهيداً لتأليف وحدة إدارية لحكومات منطقة شرق الأردن كلها. وعلمت من الحديث الدائر أن أهل الكورة وعلى رأسهم آل الشريدي يعارضون في انضمامهم إلى إربد، ويأبون أن يكون لهم

أية صلة مع حكومتها. وحجتهم في ذلك أن الكورة لقيت عنتاً كثيراً على أيدي موظفي حكومة إربد في العهدين العثماني والعربي، ومعظم هؤلاء الموظفين هم من أهل إربد نفسها أي أنهم باقون في حكومة إربد لم يذهب بهم ما ذهب بالحكومتين السالفتي الذكر. وجرى على لسان مضيفي ما يفهم منه أنه يود لو يطيق إرغام الكورة على الانضمام إلى إربد بقوة السلاح، ولكن يحول دون ذلك ضآلة شأن القوة العسكرية التي تأتمر بأمره.

* * *

ومرت الأيام وكرت الشهور وجاء الأمير عبدالله إلى عمان حيث وحد المنطقة وأنشأ لها حكومة ترجع إليها جميع هذه الحكومات الصغيرة. واتبعت الكورة لواء عجلون وجعلت إربد مركزاً لهذا اللواء وبذلك بقي ما تشكو منه الكورة حياً يعمل عمله فيزرع بذور النفور وخلق المشاكل.

وحدث أن أرسل من إربد مفرزة من الدرك بقيادة الرئيس عمر لطفي أفندي وفي عدادها جنود من أهل إربد منهم نائب اسمه حمادة السليمان. وكانت مهمة المفرزة تعداد الأغنام فوفقت لعملها في أكثر قرى الكورة وأوشكت أن تفرغ منه، ولكن أبى القدر إلا أن يحصل ما كانت مقدماته شراً وخواتمه نكبة شديدة، وذلك أن قائد المفرزة أرسل النائب حمادة سليمان الأربدي ليعد غنم عشيرة الشقيرات النازلة في غابة وراء قرية زوبيا إحدى قرى الكورة الشرقية. والشقيرات قوم خشنو الطباع. فلما جاءهم حمادة

وأخذ معهم بالمشادة على النحو الذي ألفه الدرك في العهد العثماني استفز بعض جهلتهم فأطلق عليه رصاصة من بندقيته فخرّ صريعاً. وفرّ رفقاء حمادة إلى رحابا حيث كان قائدهم يستعد للعودة إلى إربد فأخبروه بما حدث. وحاول قائد المفرزة أن ينتقم من الشقيرات ولكنه رأى أن الشر الذي انبعث من بندقية الشقيري أخذ روحه يسري في سائر العشيرة بل تعداها إلى القرى المجاورة لها ومنها رحابا نفسها. وما لبث أن رأى أن بقاءه مع قوته الصغيرة في وسط القوم يغريهم بمهاجمته لأنه يحمل المال الذي لم يدفعوه إليه إلا وهم كارهون. فانتقل إلى المزار وهي قرية على حدود الكورة واتصل منها بحاكم إربد فأمره هذا بالعودة إلى المركز دون أن يعمل ما يوسع الخرق. وأبطأت حكومة اللواء بإرسال قوة إلى محل الحادثة وأحجمت عن إرسال لجنة للتحقيق مبالغة في سوء الظن بأهل الكورة فحملهم إحجام الحكومة وترددها على اتخاذ الحيطة لأنهم أدركوا أن سكوت الحكومة قد يكون معناه أنها تتجمع لتثب وأنها تعد العدة لضربهم اعتبار أنهم ثائرون.

ولعبت أيدي السوء واستثمر أعوان الشر سذاجة أهل الكورة فأوقعوا في نفوسهم أن الحكومة تنوي انتقاماً شديداً وأنها ستتناول بانتقامها جميع قرى الكورة عدا القرى الخمس الجنوبية. ومما شاع يومئذ أن للمستشار الفرنسي في درعا وللأذناب الذين يتعلقون بذيول السياسة الفرنسوية من أهل الرمثا وغيرها من أهالي المنطقة يداً في حمل كليب الشريدي زعيم الكورة على الامتناع عن تلبية أمر الحكومة المجيء إلى مركز اللواء وعلى الجنوح إلى المشادة فالعصيان.

وقد قرّ رأي الحكومة المركزية في عمان عملاً بإشارة حكومة اللواء، على إرسال قوة من عمان تكون وظيفتها إجراء التحقيق عن حادثة قتل النائب وتمكين العدالة من المجرمين دون أن تتعرض لسائر أهل الكورة، على أن الحكومة قررت أيضاً أن تكون وظيفة القوة تأديبية في حالة حصول هياج أو ثورة تستدعي التأديب بالضرب.

ولقد كنت في ذلك الحين بعمان قائداً لكتيبة الدرك الفرسان الاحتياطية التي تم تأليفها بعد أن تقرر رفع يد المفتش الإنكليزي عن سرية الفرسان السيارة غير أن هذه الكتيبة كانت في بدء تأليفها ولم يكن قد اجتمع من العدد المقرر لها وهو 400 فارس إلا 60 جندياً فضلاً عن السرية السيارة التي تقرر أن تتبع الكتيبة وبذلك يكون مجموع جنود الكتيبة الموجودين تحت السلاح وتحت الطلب 150 جندياً منهم 25 جندياً من جنود الرشاش وسائرهم من الفرسان.

* * *

وفي صبيحة يوم 12 مارس سنة 1921 استدعاني مشاور الأمن والانضباط قائم المقام علي خلقي بك إلى مكتبه، وبعد أن شرح لي الموقف أبلغني أنه تقرر أن يعهد إليّ بقيادة القوة المنوي إرسالها إلى الكورة وأفهمني صريحاً أنه في حالة مقاومة أهل الكورة واعتراضهم لسير التحقيق في شيء يخل بالأمن العام أو يجعل القيام بالتحقيق متعذراً يجب عليّ أن أعمد إلى القوة. وكنت مريضاً يشق عليّ الركوب، ولحظ هو ذلك في وجهي فاسترسل

في بيان حراجة مركز الحكومة لكي يقيم في ذهني أن التضحية واجب لا بد منه. على أني لم يخطر لي قط أن أستعفيه السفر لأي سبب من الأسباب. مع علمي وعلمه أيضاً أن كل قوة الحكومة لا تقوى على قمع ثورة في قرية فضلاً عن ناحية تزيد قراها على العشرين، لأن الحكومة نفسها كانت إذ ذاك في أول عهد تأليفها وكانت بطبيعة الحال لا تزال ضعيفة قليلة الجند والمال.

وبلغت جرش في اليوم الثاني وكتبت بذلك إلى حاكم لواء عجلون أمين بك التميمي وذكرت له في الرسالة مجموع ما اجتمع لي من الجنود وأنني أرى السفر إلى الكورة من جرش مباشرة أي من دون التعريج على إربد وكنت أبني رأيي هذا على اعتبارات لا محل للإفاضة في شرحها الآن فجاءني الرد منه على كتابي وفيه أنه يرى غير رأيي في أمر الطريق وأنه لا يرى بداً من ذهابي بالقوة التي معي إلى إربد حيث نجتمع ونتبادل الآراء. وكان لا بد لي من النزول على إرادته لأنه المسؤول الإداري عن اللواء فبلغت إربد في 14 مايس وفهمت من أمين بك أن الكورة في حالة تمرد ولكنه ليس عاماً، وذكر لي أن محمد سعيد الشريدي ونجيب الشريدي ابني أخي زعيم العصاة كليب الشريدي هما مواليان للحكومة وأن كثيراً غيرهم من شيوخ القرى وعامته خابروه وأعلنوا نقمتهم على كليب وولاءهم للحكومة. وقد تلقى أمين بك كتاباً من هؤلاء وأنا في إربد يؤكدون له فيه ولاءهم ويعدونه بأن يكونوا ظهراً للحكومة على العصاة إذا تجرأوا على القوة وهاجموها. ولاح لأمين بك أن المسألة قريبة الانتهاء وأن النجاح في إجراء التحقيق من دون

حصول عصيان مسلح مرجو ومرجح. أما أنا فلم أكن على علم بأحوال الكورة القديمة يؤهلني للحكم على الحالة الحاضرة من حيث نيات الأهالي ونزعاتهم ودخائل شؤونهم، فلم أتعرض لإبداء رأي في ذلك. على أني كنت أفضل أن أبقى يومين آخرين في إربد لأتفهم الأحوال وأسبر غور العصيان وأتزود ما يلزم من المعلومات عن طبيعة الأراضي والبلاد. وقد ذكرت ذلك لأمين بك فأبدى شيئاً من الامتعاض وآنست منه الميل إلى الإسراع في الحركة لاعتقاده أن ذلك أبقى على هيبة الحكومة وأبلغ أثراً في النفوس.

وفي ليلة 15 مايس سنة 1921 خرجت من إربد بمئة وعشرين فارساً وهي كل القوة التي اجتمعت لي ممن جاؤوا معي وممن وجدتهم في إربد من السرية ودرك عجلون فقطعنا غابات زوبيا قبل الفجر وأشرفنا على منزل الشقيرات قاتلي النائب الدركي مع بزوغ الفجر الصادق. وكنت قد استلمت من الحاكم أمين بك أمراً خطيراً مؤرخاً في 14-15 مايس سنة 1921 يحتم عليّ ما يأتي:

1- القبض على الأشقياء المتهمين بقتل العريف حمادة سليمان من عرب الشقيرات.

2- القبض على كليب الشريدي وولده عبدالله وابن أخيه رشدي الجروان الشريدي.

والأمر يخولني الحق باستعمال القوة والعنف ويحتم عليّ استعمال منتهى الشدة إذا لقيت مقاومة من المطلوبين. وقد صحبنا دليل من قرية جديتا

التابعة للكورة اسمه نمر الأحمد وهو من أعداء آل الشريدي قيل لنا إنه صادق وخبير. وبعد أن اجتزنا قرية زوبيا بقليل أشرفنا على أرض يقال لها خلة الزرع وكانت منزلاً للشقيرات فأرسلت كشفاً بقيادة الملازم محمد أفندي جانبك وأفهمته أن يتقرب من البيوت ما استطاع، وإذا تنبه له أهلها فليطمئنهم ويفهمهم أن القوة لا تضربهم إلا في حالة ظهورهم مظهر المقاومين وانتحيت بالقوة ناحية تل قريب يشرف على بيوت الشقيرات، ولم نكد نستقر في موقفنا الجديد حتى سمعنا طلقات نارية تتبادل بين جنود الكشف والشقيرات، فعلمت أن الشقيرات معتزمون المقاومة وأدركت أن الإسراع في ضربهم هو خير ما يمكن عمله لإقرار هيبة القوة قبل امتداد العصيان إلى القرى القريبة التي كانت في حالة تردد هي فيها أميل إلى الاشتراك مع الشقيرات إذا آنست نجاحهم، وأما إذا رأت أن القوة تفوقت عليهم فقد لا تجرؤ على الجهر بميولها فتبقى على الحياد.

وبعد أن تركت قوة كافية للاحتفاظ بالتل هاجمت الشقيرات مساء بمن معي فتوفقنا لإجلائهم عن البيوت من دون أن نلقى مقاومة شديدة فتقدمنا إليها وقبضنا على بعض العصاة ممن حال الرصاص دون استلالهم من البيوت، ووجدنا اثنين من جنود الكشف مقتولين على قيد خطوات من أوائل الخيام والضابط محمد أفندي جانبك صريعاً في حالة تقرب من الإغماء. وعلمت من جنود الكشف أن رجالاً من الشقيرات كانوا يترصدون القوة في الأجمة الواقعة دون البيوت وأنهم بادروا الجنود بالرمي قبل أن يقع كلام

بين الفريقين فقتلوا منهم اثنين وقتل الجنود منهم ثلاثة وضرب أحد العصاة الضابط محمد أفندي بخشب البندقية على مؤخرة عنقه فانطرح لا يعي من الألم.

وقبل أن نتمكن من نقل الجنديين القتيلين إلى التل كانت سائر القوة ترمينا بالرصاص من الغابة القريبة من قرية رحابا الواقعة إلى الشرق منا فصعدنا إلى التل وتحصنّا فيه. وقد كنت في شك من إخلاص أهل زوبيا ورحابا القريبتين منا وكنت أخشى أن يشتركوا مع العصاة مهما كانت النتيجة ولذلك اعتزمت أن أتقدم بالقوة إلى أراضي المزار الواقعة منا إلى الشرق وهي من غير الكورة وذلك كي لا يحيط بنا العصاة.

على أن الوقت لم يتسع لتنفيذ هذه الحركة إذ هوجمنا من ناحية هاتين القريتين ومن جهة عنبة الواقعة إلى الشرق الشمالي ومن التلال الواقعة إلى الغرب والجنوب في وقت واحد تقريباً فثبت لنا أن العصيان مدبر متفق عليه وأن أهالي عشر من قرى الكورة متواطئون مع الشقيرات بقيادة كليب الشريدي وولده عبدالله على الغدر بالقوة ومتفقون فيما بينهم على الإسراع إلى نجدة الشقيرات عند سماعهم أصوات الرصاص ولكن لم يشترك بالفعل من هاته القرى إلا ست هن: قرى زوبيا ورحابا وتبنة وعنبة ودير أبي سعيد وكفر الماء وذلك مع استثناء أفراد من كفر كيفيا وزمال وسموع وجنين ومرحبا وغيرها. وكان معنا رشاشة واحدة من طراز مكسيم ولم يكن معنا عتاد احتياطي إلا صندوقاً واحداً وكان كل جندي من الجنود يحمل 150 بندقة لا سبيل له إلى غيرها إذا نفدت لعدم وجود ذخيرة احتياطية معنا إلا

المخصص للرشاشة وذلك لأن الحكومة في ذلك الحين لم تكن تملك ما تحتاج إليه في مثل هذه الحركات من القوة والمال والذخيرة وما إلى ذلك.

وبدأ العصاة يتقربون نحونا من الجهات الأربع ويضيقون دائرة الإحاطة بنا مستفيدين من وعورة الأراضي وكثافة الغابات. وتمكنا من ردهم على أعقابهم مراراً وإبعادهم عنا ولكن لم نستطع شق طريق ننفذ منه إلى خارج دائرة الإحداق. وفوق ذلك فإن محاولة هذا الخروج تستدعي إخلاءنا التل الذي كنا على قمته والهبوط في منحدرات وأودية عميقة وعرة المسالك وبذلك نستهدف لخطر قد لا يكون دون هلاك القوة كلها. وصممت على البقاء حيث كنا والثبات إلى الليل راجياً أن نستفيد من ظلامه ونستتر به لتنفيذ حركة الخروج.

غير أن ذلك لم يتيسر لنا أيضاً لأن نار العصاة كانت تزداد شدة وغزارة ساعة عن ساعة بفضل من كان ينضم إليهم من رفقائهم الذين تأخروا بسبب بُعد منازلهم وكثر فينا القتل والجرح وقتلت أكثر خيلنا الناصعة الألوان فكان لمنظر القتلى والجرحى تأثير في أعصاب الجنود وخُيِّل إلى بعضهم أن القوة أشرفت على الفناء لأن ضيق البقعة التي كنا نشغلها أكسب منظر القتلى شكلاً مبالغاً فيه مع أنه لم يكن قد سقط منا قتلاً وجرحاً ما يتجاوز ربع الجنود وثلث الخيل.

وفي الساعة العاشرة أصبت بجرح بليغ وشاع بين الجنود أنني قُتلت وترددت في أفواههم كلمة التسليم وكثرت شكواهم من نفاد الذخيرة من

أكثرهم بحيث أصبحوا لا يملكون دفاعاً. ثم توقفت الرشاشة عن العمل وكان صوتها يشجع الجنود ويؤنسهم، ودنا العصاة منا أكثر، بعد أن ضعفت نارنا، وتمكن بعضهم من بلوغ أطراف التل الغربية حيث كانت الأشجار ملتفة كثيفة تساعدهم على الدنو مستترين. وكان معي من الضباط الرئيسان عمر لطفي أفندي وخلف أفندي التل والملازمون محمد أفندي جانبك ومحمد سعيد أفندي السحاقات وأحمد أفندي التل وعبد الحميد أفندي النعيمي فعقدت مع بعضهم مجلساً فأشاروا بالتسليم لأن ذخيرة الجنود كادت تنفد كلها والخروج من دائرة الإحداق أصبح أمراً مستحيلاً وفضلاً عن ذلك فإن الجنود في أطراف التل الجنوبية والغربية قد خرجوا عن طاعة الضباط ورفع بعضهم علامة التسليم من تلقاء أنفسهم فإذا دخل العصاة علينا ونحن بين مستسلم يرمي سلاحه ومدافع يصر على القتال لا يبعد أن يقتلوا كل من وقع في أيديهم. ولكني رفضت اقتراح التسليم أملاً بأن نقوى على الثبات مرة أخرى ووافقوني على رأيي، بعضهم عن قناعة وبعضهم عن طاعة عسكرية. على أن الأمر خرج من أيدينا لأن العصاة تمكنوا من بلوغ التل والالتحام بالجنود فسلم أكثر الجنود أسلحتهم الفارغة ولم يبق لنا محيص من قبول حكم الظروف القاهرة.

ولم يحسن العصاة معاملتنا بعد أن صرنا في أسرهم وقد كنت أتوقع ذلك منهم عندما رفضت اقتراح التسليم لأنهم موتورون بمن قتل منهم وهم عشائر جبلية ليست على شيء مما عند الجنود المنظمة من تقاليد

الحرب وأنظمتها فالأسير هو تحت مطلق رحمتهم لا يمنعهم عن قتله نظام أو أمر آمر.

وقد بولغ في اتهامهم أنهم مثلوا بالقتلى وقتلوا كثيرين من الأسرى ولكني أشهد أن لا صحة لأكثر ما أشيع، وغاية ما فعلوه بعد وقوعنا في أسرهم أنهم قتلوا نائباً من أهل الصلت اسمه صالح الكردي ظناً منهم أنه من إربد، وقتلوا «الصداح» «حامل البوق أو البورزان» لشدة ما حقدوا على صوت البوق الذي كان واسطة تبليغ بعض الأوامر. والذين ارتكبوا هذا الجرم الفظيع هم من أحداثهم ممن قتل لهم إخوان أو آباء في أثناء المعركة. وحاول رجل من قرية تبنة أن يجهز عليّ واتهمني بقتل خاله أو قريبه عبدالله الشقيري وكنت أحسب أنني مشرف على الموت في أية حال لأن دمي كاد ينفد من قوة نزيف الجرح فأشرت إليه أن يفعل، فتوقف لدى إشارتي من تلقاء نفسه ولست أدري هل كان الذي أمسك يده عن نابض بندقيته عاملاً من الشرف والمروءة أم كان ذلك لاستغرابه أمري وإشارتي. وبعد أن تركني لحظة عاد يهددني القتل وصوب فوهة بندقيته إلى صدري فلم أشك في أنه فاعل هذه النوبة، وعاودني الضعف وحب الحياة فلم أكرر له الإشارة. على أن المقادير أبت أن يريحني هذا الرجل من أعباء الحياة، وسخّرت لنصرتي رجلاً من أهل قرية زوبيا اسمه صالح أسرع إلى غريمي ودفعه عني بعنف شديد. ووقفا يختصمان وأنا أرقبهما متمنياً في قلبي أن يتغلب صالح. فكان ما تمنيت واجتمع إخوة صالح وأبناء عمومته يذبون عني لفيفاً من أعوان غريمي وأبناء عمومته نفروا إليه بدافع العصبية، ولم تقف مروءة صالح عند

حد حمايتي بل جاوزت ذلك إلى الدفاع عن كل من كان قريباً مني من الضباط والجنود، فلم يسمح بأن تمسنا يد بسوء أو بأن يسلب منا شيء غير البنادق التي كان لا بد من تسليمها وغير الخيول. وحملنا أخيراً على بعض خيلنا إلى بيته في زوبيا ومنعنا فيه. أما سائر الجنود الأسرى فذب بهم آسروهم كل إلى قريته وانتهبوا سلاحهم وخيولهم وما عليهم من الثياب إلا ما يستر العورة. وأساؤوا معاملة الضباط وأرهقوهم بالتهديد ولكنهم لم يقتلوا أحداً إلا من ذكرت سابقاً ولم يجهزوا على جريح أو يمثلوا بقتيل. وكل ما قيل عنهم من هذا القبيل كذب واختلاق.

وأتاني كليب الشريدي وولده عبدالله إلى بيت صالح فأوضحت له أنه إنما يلعب بالنار في عصيانه على الحكومة وأنها لا بد من أن تقتص منه. وأثر فيه كلامي وتكلم بما يؤخذ منه أن العصيان لم يكن مدبراً وأنه بريء من التآمر على الحكومة فقلت له إذن أصلح بعض ما أفسدت بينك وبين الحكومة بكف أتباعك عن إيذاء الجنود وانتهاب ما معهم ومُرهم بجمع الأسلاب وإعادتها إلى أصحابها وتسريح الأسرى من دون أن يؤذوهم في حياتهم أو مالهم ثم أقدم على حاكم اللواء أو على رئيس الحكومة في عمان فإذا كنت بريئاً كما تقول فإن العدالة لا تأخذك بشر. وعلمت الحكومة بما حدث وأمرت كليباً بتسريح الأسرى وبعد أخذ ورد قرر كليب أن يتقي بعض شر الحكومة بالإذعان لأوامرها فانتهى بذلك إسارنا بعد أن دام سحابة نهار كامل.

بعد الحادثة

يرى القارئ أن الحادثة في ذاتها لم تكن من الحوادث الكبيرة. وما حرب تثير هائمة من الجنود، وبضع عشرة مئة من عصاة الجبال بحرب يحفل بها التاريخ أو تصرف إليها عناية الأقلام ولكنها مع ذلك حادث كان له من الأثر السيئ في سياسة المنطقة وإدارتها الداخلية ما ناء بحمله الوطنيون وأثقل عواتق رجال الحكومة وأنصار فكرة الاستقلال ودعاة الاستغناء عن إعانة الإنكليز. وقد توفقنا بعد سنتين من هذه الحادثة المشؤومة للتغلب على أهل الكورة والاقتصاص منهم فقضينا على روح الثورة وأرغمناهم على احترام الحكومة الوطنية ولكن لم يكن ذلك مدعاة للسرور الحقيقي لأن الكورة خسرت في ثورتها الثانية خسارة كبيرة، وأذلت ورضيت للخضوع لأية قوة أخرى غير القوة الوطنية إذ ذهب من نفوس بنيها الأشداء كثير من الثقة بالنفس ووقع في قلوبهم رهبة من المدافع والطيارات.

وقد يستغرب القارئ أن يسمع مني مثل هذا الكلام وأنا أحد المسؤولين عما أصاب الكورة في حادثتها الثانية إذ كنت رئيساً لأركان حرب القوة التي قمعت الثورة. ولكن من السهل أن يدرك المرء سر إقدام الحكومة الوطنية على ضرب الكورة إذا علم أن روح التمرد التي نشرها كليب الشريدي في رجال قومه كادت أن تنفخ في عجلون أيضاً وفي سائر الجزء الشمالي من المنطقة روحاً من التصدي للحكومة والاستخفاف بها، من شأنها أن تؤول بالبلاد حتماً إلى حالة لا تطاق من الفوضى. ولم يكن للحكومة

الوطنية بد من أن تختار أهون الويلين فتجنح إلى الحزم والشدة قبل أن يتهمها الإنكليز بالعجز وسوء الإدارة.

وجرت بعد الحادثة الأولى مفاوضة طويلة بين الحكومة وكليب الشريدي ومذاكرات لا أرى لزوماً للإضافة في ذكرها. على أني أقول مجملاً إن الحكومة فرضت بواسطة لجنة منتخبة من رجالها ومن بعض أعيان المنطقة أن تدفع الكورة دية القتلى من الجنود (250 ديناراً سورياً عن كل منهم)، وأن تعيد الأسلاب من الخيل والسلاح وسائر التجهيزات العسكرية. فلم تنفذ الكورة من قرار الحكومة إلا ما يتعلق بالخيل وبعض السلاح والتجهيزات. أما المال المفروض عليها دفعه فلم تدفع منه شيئاً. وأبى كليب أن يواجه أحداً من رجال الحكومة خارج حدود الكورة، غير أنه قبل بعد مفاوضات بأن يجتمع بالأمير عبدالله في قرية سوف حضر إليها ومعه عدد كبير من رجاله المسلحين.

وقد أصدر الأمير عفواً عاماً عن كليب الشريدي وجميع الثائرين من أهل الكورة وكان لهذا العفو أثره المطلوب من تسكين الحالة.



بعد الكورة

جنود الطيارات - المجلس النيابي - الضائقة - استقالة المشاورين



عاد الأمير ورئيس مجلس المشاورين ومن رافقهما في رحلة عجلون، وما استقر برئيس المشاورين المقام في عمان، حتى دعاني إليه(1) فجئته فقال: ما هذه الجنود البريطانية التي أراها في رابية «مركة» على مقربة من خيام الأمير؟ قلت: جاءت وأنتم في عجلون ولم يكتب لنا المعتمد البريطاني بشأنها حرفاً. فأخذ القلم وكتب خلاصة صغيرة جعلتها رسالة إلى المعتمد وموضوعها الاحتجاج على الإتيان بقوة من الجند بغير علم الحكومة وطلب إعادتهم وإخبار الحكومة باليوم الذي يبرحون فيه شرق الأردن. وختام الرسالة أن الحكومة تحتفظ بحقوقها التي يمسها هذا العمل.

---

(1) وكنت قد عُيِّنت مديراً لرسائله.

لم يجب المعتمد البريطاني على الرسالة. واكتفى بأن شكا رئيس المشاورين إلى سمو الأمير، وهذا أخبر الرئيس بأنه علم بقدوم الجنود ولم يرَ بأساً في إقامتهم مدة.. يحافظون على الطيارات الأربع!!

قال رشيد بك: ولكن هذا يا سيدي الأمير من خصائص الحكومة وكان أولى بسموكم أن تؤخروا موافقتكم إلى ما بعد مذاكرتي ومذاكرة رفاقي.

فأجاب الأمير جواباً مبهماً، ولم يفد رشيداً إصراره!

* * *

ورأى رشيد بك أن بقاء الحكومة على هذا الطراز، أمر غير محمود العواقب فلم يجد وسيلة للنجاة من تبعة الاسترسال فيما هم عليه غير جمع المجلس النيابي. وقد سبق لنا أن ذكرنا شرطين اشترطهما رشيد بك قبل نهوضه لتأسيس الحكومة، أحدهما أن يكون للبلاد مجلس تنتخبه انتخاباً صحيحاً، وقد رضي الأمير يومئذ.

* * *

أقبل رشيد بك على الأمير يطلب منه الموافقة على الشروع في الانتخاب وجمع المجلس، فأعرض الأمير وأبى، فأعاد رشيد الكرّة، وبدا للأمير تشدده، فوافق بعض الموافقة، ثم تفلت بقوله: وعليك أن تبدأ بترشيح من ترى!

رشيد: وكيف ذلك يا سيدي؟

الأمير: لتعيين أعضائه!

رشيد: وأية قيمة لمجلس نعين أعضاءه تعييناً؟

الأمير: إذن؟

رشيد: يجب أن يكون المجلس منتخباً برأي الأهالي.

الأمير: لا! هذا لا يكون.

وانفتل رشيد بك يسرد للأمير براهينه على وجوب جعل المجلس منتخباً، والأمير مُصر على التعيين، إلى أن قال الأمير: إذن تنتخب المدن والقرى أعضاءها في المجلس، أما العشائر فنعين لها من ينوب عنها. فاعترض رشيد، واشتد الأمير، وانفضّ اجتماعهما على غير جدوى.

* * *

وأصبحت الحكومة يوم 22 حزيران (يونيو) 1921 وقد أنهكت جندها وأفرغت صندوقها حادثة الكورة، ولم ينفعها الإلحاح على حكومة فلسطين بطلب حصة المنطقة من واردات الجمارك، فضج رشيد بك ورفاقه في الحكومة من سوء الحال، وتقدم مشاور الأمن والانضباط علي خلقي بك إلى الأمير معلناً عجزه عن استبقاء الضباط والجنود في أعمالهم حفاةً عراةً جياعاً.. فلم يكن من الأمير إلا أن تجهم في وجه علي خلقي، وتحدث الناس في عمان على أثر ذلك بأزمة في مجلس المشاورين..

لقد كانت الأزمة.. واشتدت ولم تنفرج.. وختمت باجتماع مجلس المشاورين واتفاقهم على رفع كتاب الاستقالة الآتي نصه إلى أعتاب سمو الأمير!

العدد: 63

لأعتاب سمو مولاي الأمير المعظم أيّده الله:

لما عهدتم سموكم لي بإدارة هذه المنطقة أمرتم بأن الحكومة البريطانية وعدتكم بالمساعدة اللازمة لتشكيل قوة قادرة على تأمين الأمن فيها، وقد صرح بذلك السير هربرت صموئيل حين مجيئه لعمان، وقد مضى على تشكيل الحكومة نيف وثلاثة أشهر ولم تحصل على أقل مساعدة من الحكومة المشار إليها، هذا فضلاً عن أنها لم تظهر ما كنا نتوقع إظهارها من التساهل والمعاونة في أمر تعيين ما يصيب هذه المنطقة من واردات الجمارك، فانضم لضعف القوة الضعف الناشئ عن الضيق المالي الذي جعل الحكومة تضطر للتشديد في تحقيق الأموال الأميرية وتحصيلها فحصلت مسألة الكورة ولم تتمكن الحكومة من تأديب أو تهديد المجرمين فيها كما أنها لم تتمكن بهذا السبب من إيفاء بقية وظائفها حسب رغائب سموكم. وعليه بعد المذاكرة مع زملائي الآخرين لأجل اتخاذ تدبير يحسن الحالة الحاضرة لم نرَ لها تدبيراً سوى تشكيل قوة تساعد الحكومة على العمل الأمر الذي لم نتمكن من الحصول عليه، ولذلك أتيت مقدماً لسموكم استقالتي مع هيئة الحكومة

الحاضرة لتأمروا من تعتمدون عليه بتشكيل حكومة قادرة على العمل ضمن هذه الشروط، وبكل الأحوال الأمر لمولاي المعظم أيّده الله.

17 شوال سنة 1339 الموافق 23 حزيران سنة 1921

الكاتب الإداري

ورئيس مجلس المشاورين

رشيد طليع

ورفع رشيد بك ووزراؤه كتاب استقالتهم هذا إلى أعتاب الأمير فصدرت الإرادة المطاعة بتأجيل ذلك إلى ما بعد أوبة سموه من الكرك، وكان مزمعاً السفر إلى ذلك اللواء.

وسافر الأمير إلى الكرك يوم 25 حزيران، يصحبه كاتبه الإداري رئيس مجلس المشاورين والمستر ديدس السكرتير المدني للمندوب السامي بفلسطين، والمستر أبرامسون المعتمد البريطاني بعمان، والماجور سمرست (المعروف اليوم باللورد رجلان) وغيرهم.

* * *

عاد الأمير ورفاقه من رحلتهم هذه واستؤنفت فكرة الاستقالة في عمان، فصدرت الإرادة يوم 5 تموز (يوليو) 1921 بتأليف المجلس من الآتية أسماؤهم:

1 - رشيد بك طليع: الكاتب الإداري والمشاور الملكي ورئيس مجلس المشاورين (إبقاء).

2 – الشريف شاكر بن زيد: نائب العشائر (إبقاء).

3 – مظهر بك الرسلان: المستشار المالي (بدلاً من حسن بك الحكيم المستقيل).

4 – رشدي بك الصفدي: مشاور الأمن والانضباط (بدلاً من علي خلقي بك).

5 – أحمد بك مريود: معاون نائب العشائر (إبقاء).

6 – غالب بك الشعلان: مستشار القيادة العامة.

7 – الشيخ محمد الخضر الشنقيطي: قاضي القضاة (إبقاء).

* * *

ونظرة واحدة في هذه القائمة تدلك على أن ضعف المنطقة كان بادياً في نبضيها العسكري والمالي، فقد تنحى مشاور الأمن واستقال المشاور المالي وحلّ محل كل منهما خلف له.

أما المناصب 2 و6 و7 فكانت زائدة لا حاجة إليها ولا عمل لأصحابها، غير أن رغبة الأمير كانت بنقل مشاهراتهم من حساب المقر إلى حساب الحكومة فالشريف شاكر بن زيد: من أقارب الأمير، وهو شجاع عاقل مهذب، لم يكن يحضر اجتماعاً من اجتماعات المجلس وليس له توقيع على قرار، وإنما كان معاونه ينوب عنه في كل عمل.

غالب بك الشعلان: كان مرافقاً لسمو الأمير.

الشيخ الشنقيطي: فقيه كما سبق لنا وصفه في حاشية.

* * *

وعلى هذا استلم كل ذي منصب منصبه، وانثنى رئيس المشاورين يبحث مع المشاور المالي عن طريقة تحصل بها المنطقة على مالها من حصتها في الجمارك، فلم يريا غير السير إلى القدس، فبرحا عمان في أوائل العشر الثاني من تموز (يوليو) 1921 وعادا بعد أيام يحملان مبلغاً من النقود على حساب الحصة الجمركية.

* * *

وبينما كان رشيد بك في القدس نشر محرر جريدة لسان العرب حديثاً معه جاء فيه ما خلاصته:

«رشيد بك طليع إداري تقدم له من الأفعال والآثار في إدارة ولاية حلب ما يكفي بيّنة على اقتداره.

سألته عن المهمة التي قدم بها فأجاب:

– تعلمون أن الحكومة البريطانية، بعد حوادث دمشق في العام الماضي، عهدت إلى الأمير عبدالله بإدارة منطقة شرق الأردن وحفظ الأمن والنظام فيها، وأن سموه رضي بكل سرور أن يقوم بهذه المهمة على ما يحيط بها من المصاعب السياسية والمالية والإدارية.

ولكن لما كان المال عصب كل عمل في هذا الزمن، وكانت الحكومة الإنكليزية قد أعربت لنا عن رغبتها في مساعدتنا لإصلاح الإدارة وحفظ الأمن في هذه المنطقة، كما ورد في خطاب المستر تشرشل الذي ألقاه أخيراً في مجلس النواب، كان من الأمر الطبيعي أن نراجع وكلاء الحكومة الإنكليزية في هذه الشؤون. ولا أخفي عنك أننا جئنا لهذه الغاية.

من السهل حفظ الأمن في منطقة أهلها عزَّل من السلاح ولكن من أصعب الأمور حفظه في بلاد أهلها من ابن عشرة أعوام إلى الشيخ المعمر يحمل البندقية كما يحمل ابن المدن عصاه ويراها من ألزم لوازم هذه الحياة، فإذا كانت فلسطين العزلاء تحتاج إلى ألوف الرجال من البوليس والدرك والجند النظامي لحفظ الأمن والراحة فيها فهل يعقل أن حكومة شرق الأردن تستطيع حفظهما بمئات قليلة من الدرك غير منظمة؟ إن الذي يطالبها بذلك لهو متعنت يسأل إدارتها ما هو فوق طاقة أية إدارة كانت. ومع كل ضعف وسائلنا المالية والانضباطية نجد أن الحوادث عندنا تكاد لا تذكر بالنسبة لحوادث البلاد العربية التي تجاورنا.

– عسى أن تكونوا قد توفقتم في مهمتكم هذه؟

– الأمر المعقول لا جدال فيه، بل يكفي في درسه وتمحيصه قليل من الإخلاص في النية والحزم في العمل. ولنا ثقة كبرى بحكمة رجال الحكومة الإنكليزية في فلسطين وأمل يحملنا على الوثوق بحل هذه المشاكل إن لم يكن

اليوم فغداً، لأن حفظ الأمن عندنا وإصلاح الإدارة يهم هذه المنطقة التي تجاورنا بقدر ما يهمنا. لهذه الأسباب ولما بيننا من الصلات الودية الخالصة نعتقد بأنهم يساعدوننا مساعدة فعلية على تحقيق ما يطلب منا في أقرب وقت.



الخــلاف



كان في مواد اتفاق الأمير عبدالله مع المستر تشرشل أن تقدم الحكومة البريطانية إعانة نقدية لحكومة الأمير تقوم بنفقات قوة عسكرية تكفي لصون الأمن في شرق الأردن، ولكن لم يعين يومئذ عددها. ولما أتت حادثة الكورة بنتائجها السيئة وضاق ذرع الحكومة عن الإنفاق على جندها، اضطرت إلى مطالبة البريطانيين بما تعهد به تشرشل ولم يمتنع المعتمد البريطاني في عمان عن إجابة الطلب مشترطاً - من طرف خفي - شرطين، الأول: أن يتولى دفع المرتبات والإنفاق على القوة ضابط بريطاني هو بيك بك، والثاني: أن يكون عددها 750 جندياً. ورأى رئيس المشاورين في هذين الشرطين غبناً للحكومة فاعترض على الأول آبياً إلا أن تتولى حكومة المنطقة القبض والدفع، واعترض على الثاني بأنه غير كافٍ لصيانة الأمن، وحصر طلبه في أن تدفع الحكومة البريطانية إلى حكومة شرق الأردن إعانة تكفي للإنفاق على 1500 جندي منظم للمحافظة على الأمن الداخلي ومنع أعراب المنطقة وغيرهم من التعدي على حدود سورية وفلسطين.

وكثر الأخذ والرد بين الرئيس والمعتمد فلجأ رشيد بك إلى الأمير يستعين به على إقناع البريطانيين، ولم يكتم الأمير تألمه من شرطي المعتمد ووعد بأن يكون ظهيراً لرشيد بك في طلب.

ولكن لم يمضِ غير يوم واحد حتى أقبل المعتمد يبلغ رئيس المشاورين موافقة سمو الأمير على الشرطين، وهرع رشيد بك يسأل الأمير فأجابه: نعم!

* * *

كان هذا الحادث فاتحة الخلاف بين الأمير ورئيس مشاوريه. وإذا أضفناه إلى اختلاف وجهتي النظر بينهما في موضوعي المجلس النيابي وحرس الطيارات البريطاني، عرفنا ما سيكون. فقد ظل رشيد بك متشدداً في طلب انتخاب المجلس والأمير يأباه، وظل رشيد منكراً على البريطانيين إبقاء قوة عسكرية إنكليزية في رابية «مركة» باسم «حرس الطيارات» وكانت هناك أمور أخرى اتسعت بها شقة الخلاف فلم يبق سبيل للاتفاق..

* * *

قصد رشيد بك مقر الأمير في صباح يوم من أغسطس 1921 وعند الأمير زعيم ثورة الشمال في سورية إبراهيم بك هنانو، وبعد أن جلس رشيد بك وتبودلت كلمات المجاملة التفت إليه الأمير فحدثه بأن المعتمد البريطاني أخبره أن المستر تشرشل وزير المستعمرات أبرق إلى حكومة فلسطين قائلاً

إن الأمير عبدالله كان عليه أن لا يعين لرئاسة حكومته رجلاً عُرف بالعداء للفرنسويين، وأن فرنسا تشكو من أعمال ذلك الرجل، فإن لم يستبدل به غيره اعتبرت حكومة إنكلترا نفسها في حل من كل ما وعدت به الأمير من المساعدة، وستبدأ ذلك بقطع الإعانة التي خصّت بها سموه شهرياً.

وأردف الأمير تصريحه هذا بأن المعتمد لا يرى حلاً للمشكل غير إقالة رئيس المشاورين الحالي!

لم يعجب رشيد بك لهذه المفاجأة، لأنه كان واثقاً بأن ما بينه وبين الإنكليز والأمير لن ينقضي بسلام، ولكنه أجاب الأمير بكل هدوء: أنت تعلم أنني كنت ولم أزل مستعداً لترك الحكومة حين أرى المصلحة تقضي بذلك، أما الآن فمصلحة البلاد لا تجيز لي أن أتنحى لأسباب ليست في الحقيقة غير رغبة المعتمد البريطاني.

قال الأمير: وتشرشل أيضاً.

فقال رشيد: إن كنت أنت ترى ابتعادي عن رئاسة الحكومة لأسباب أخرى فذلك أفضل للمصلحة ولك أن تعدّني مستقيلاً من هذه الساعة..

وتلقى مظهر بك الرسلان في صباح اليوم الثاني أمر الأمير بإسناد وكالة الرئاسة إليه فتسلم العمل، ثم أصبح رئيساً أصيلاً بعد يومين.



قصة قصيدة



ضم مجلس الأمير عبدالله يوم الاثنين 4 يوليو (تموز) 1921 جماعة منهم رشيد بك طليع، والشيح كامل القصاب، ونبيه بك العظمة، وأحمد بك مريود وخالد بك الحكيم. وسألني الأمير عما قلت من شعر، فكان جوابي لا جديد، وتكلم الأستاذ القصاب فذكر قصيدة لي وقرأ بيتين منها، فتعلق بها الأمير ملحاً، فلم يسعني إلا أن أتلوها، وكنت قد نظمتها على أثر انعقاد «المؤتمر العائلي»[1] في جدة وسفر الملك فيصل إلى العراق، ووجهت القول في ختامها إلى الأمير عبدالله، ومطلعها:

ذكرت والذكرى تفيض جراحها	دماً فجرته مكة وبطاحها
وأوحشني والعين تأبى رقادها	غدوّ خيالات الهوى ورواحها

---

(1) رئيس هذا المؤتمر الملك حسين ومن أعضائه الذين حضروه أبناؤه الأمراء علي وفيصل وزيد.

ومنها:

أقلب طرفي في الرجال فلا أرى   شمائل لا ينعى علي امتداحها
عذيري من أيامي الغبر أنني   أصاولها حتى يهون اطراحها
وما لفظتني أم صبح لريبة   علقت بها أو رف فوقي جناحها
ولكنني أحسنت ظني بأمة   تعاصى على أهل الصلاح صلاحها

ومنها:

كأني بأبناء الحسين بدت لهم   مناهج، عذب مستساغ قراحها
أحاديثهم دوّى بها كل محفل   أكاذيبها مروية وصحاحها

وهي طويلة، فلم آت على آخرها حتى رأيت الأمير قد أوجعه بعض ما فيها ولاسيما قولي:

أبا نائف[1] جاز الرصافة فيصل   وسورية يعلو لديك نواحها

فأخذ يكرر مواعيده - بيثرب - وانصرفنا بعد قليل والأمير في حنقه وصخبه.

* * *

(1) للأمير ولدان أحدهما (طلال) وهو في نحو الثانية عشر والثاني (نايف) وهو في نحو السابعة.

وزار عمان شاعر العرب الأكبر، الشيخ عبد المحسن الكاظمي، في منتصف حزيران (يونيو) 1922 ونزل في خيمة أعدت له في مقر الأمير وبادرته بالزيارة، فأنشدني من بدائعه قصيدة له يقول في مطلعها:

قدى من الدهر أفراحي وأحزاني   فقد تداولني منه الفريقان
البشر واصل حيناً ثم فارقني   والوجد لازمني في كل أحياني
ملاوة أتراءى غير ذي شجن   وتارة أتوارى خلف أشجاني
وكلما قلت إن الدهر قربني   إذا به عن طريق البشر أقصاني
أني وأسرع والدنيا لمعتزم   لا مشرع في تمشيه ولا واني
سعيت في طلب العلياء مرتزقاً   وما سعت قدمي إلا لحرمان
فلا التريث عما خفت أبعدني   ولا التعجل مما رمت أدناني
ما زلت والدهر تعلوني حوادثه   أبني ويهدم صرف الدهر بنياني
أشكو وأشكر والأيام صاغية   إلى النقيضين من شكوى وشكران
حتى مَ أسمع أيماناً مغلظة   ولا أرى غير حنات بإيمان
هل «طانها» كفلت حفظي   وبين تيمسها قد ضعت والطان

وقصيدة يقول فيها:

أحباي هزتني إليكم صبا الحمى   وأرواح مصر عن شذا الكرخ
فرحت أداري الحب ثم أذيعه   وأعلن أحياناً هواكم وأكتم
وما ك يا مصر ببغداد نازل   وفي جلق أدهى وفي القدس أجسم

هنالـك أحـشاء تـذوب وههنـا　　قلـوب متـى حركتهـا تتـضرم

إذا مـا تـوالى جرحنـا وتعـذرت　　مراهمـه فـالجرح للجـرح مـرهم

* * *

وأخيراً قال: لقد أسمعناك بعض ما قلناه منذ افترقنا في مصر، فأسمعنا. فعرضت عليه أكثر ما قلت في عمان وفي جملته القصيدة الحائية وجاء رئيس المستشارين يزور الأستاذ، فسلم وجلس، ثم نهض فودع، ونهضت معه، فعدنا إلى البلدة.

* * *

وقصدت المقر في اليوم الثاني، ولا عمل لي هناك غير زيارة «الكاظمي» فمكثت ساعة وودعته منصرفاً، وإذا بسيارة الأمير مارة وهو فيها، فرآني فحييته باليد، فأشار إلى السائق، فوقف، ونزل الأمير وهو يقول أين أنت يا خير الدين؟

ثم نادى أقرب خدم المقر منه آمراً بالكراسي فجيء بها وجلس، وجلست، وافتتح الحديث هاشّاً باشّاً بقوله: لولا الكاظمي لم نرك هنا! فاعتذرت عن قلة زيارتي فقال: ولِمَ لم تسمعنا أواخر شعرك؟ فقلت: ما هناك شيء يُسمع يا مولاي. فقال: بل هناك شيء يسمع ولقد أثنى عليك الكاظمي أمس كثيراً. قلت: الأستاذ ينظر بعين الرضا. فقال: لا! كل شيء تدخله المحاباة إلا الأدب، أسمعني بالله قصيدتك الجديدة. فقلت: أية

قصيدة يا سيدي؟ قال: التي أسمعتها الكاظمي أمس على روي الهاء .. فأدركت أنه يعني الحائية، فقلت: إنك تعرفها يا سيدي ومطلعها «تذكرت والذكرى تفيض جراحها».. فانتبه وقال: نعم أعرفها. وصمت.. فاستأذنت بالانصراف فأذن، وقمت، فقام يمشي إلى خيمته.. ولم أزره بعدها إلا لأمر.



يوم نورثكليف



ازدحمت الخيل في الشونة يوم الثلاثاء 10 جمادى الثانية 1340 (7 شباط/ فبراير 1922) وأقبل من القدس أكبر صحافي في بريطانيا هو اللورد «نورثكليف» صاحب «الديلي مايل» و «التايمز» و «الإيفننج نيوز» وغيرها من الصحف والمجلات الإنكليزية العديدة، واستقبله الأمير مرحباً، وامتد الحديث بينهما عن القضية العربية ومطالب العرب، وأقبل الأمير عادل أرسلان من إحدى الخيام متمشياً نحو مضرب الأمير عبدالله، فإذا بعبدالله قد فارق ضيفه اللورد نورثكليف وخرج، فاعترضه الأمير عادل وقد أدهشه من عبدالله تركه اللورد. وسبقه الأمير عبدالله إلى الكلام فقال: ضاق صدري يا أخي! ما هذه المحنة التي ابتلينا بها اليوم!

عادل: وماذا حدث؟

عبدالله: ساعة، ساعة كاملة لا يكون فيها غير الجد!! تلك والله مصيبة، وقد عاودني الخفقان!!

* * *

وشعر اللورد بضيق صدر الأمير، فكان مما ودعه به بعد تناول الطعام: أرجو يا سمو الأمير أن نلتقي في لندن قريباً، ولكنني أعتذر إليك منذ الآن بأني لا شطرنج عندي هناك!!



اقتــراح



كتب إنكليزي كان موظفاً في فلسطين كتاباً إلى التايمز في أول يونيو 1920 يقول فيه:

جاء في المعاهدة العثمانية أن بريطانيا وفرنسا هما اللتان تخططان تخوم فلسطين فاسمحوا لي بأن أقترح على صفحات جريدتكم هذا الاقتراح وهو أن تكون جميع أراضي وادي الأردن التي هي أوطأ من سطح حر الروم داخلة في فلسطين.

والغرض من هذا اقتراح تسهيل إغراق وادي الأردن والبحر الميت بمياه بحر الروم إذا قر الرأي على حفر ترعة من حيفا إلى زرعين (على بُعد 25 ميلاً في الداخلية). وحفر هذه الترعة ليس متعذراً وقد حامت أفكار المهندسين حوله فيما مضى فلما حفرت ترعة السويس عدل عنه بسبب عظم مصاعب الحفر في الصعيد الذي بين طرف البحر الميت الجنوبي وخليج العقبة. وأعلى

أرض تحفر فيها الترعة بين حيفا وزرعين يبلغ علوها 220 قدماً عن سطح البحر ولا ريب أن نفقات هذا الحفر عظيمة وأن كثيراً من الأرض الزراعية في وادي الأردن يغرق بالماء الملح ولكن هناك ثماني مزايا وهي:

1 - أن البحيرة تكون حداً طبيعياً بديعاً وتحمي البلاد من غارات الجيران الشرقيين وهذا يقلل عدد الجنود اللازمين للمحافظة على الأمن.
2 - يحول كثيراً من أرض فلسطين المضرة بالصحة إلى غرض نافع.
3 - يكون طول البحيرة 180 ميلاً فتستخدم واسطة بديعة للنقل من الداخلية إلى حيفا أفضل مرافئ فلسطين. واهتمام بريطانيا بهذا الأمر مشهور لأنها الدولة المنتدبة لفلسطين.
4 - هذه البحيرة تزيد ما ينزل من المطر وبالتالي تزيد خصب حوران المشهورة بقمحها.
5 - إن تبخر الماء يولد تياراً دائماً من البحر إلى البحيرة الجديدة يستعمل لتوليد الكهربائية. على أن زيادة المطر قد تقاوم فعل التبخر فيكون التيار خفيفاً لا نفع منه في الشتاء.
6 - تكون مدينة القدس على بُعد 10 أميال من مرفأ له علاقة مباشرة بالبحر.
7 - تسهل تقدم البلاد التجاري تسهيلاً كبيراً.
8 - تسهل الأسفار على الزوار والسياح وتجتذبهم إلى البلاد.

وفي الختام أقدر أن ترعة مساحتها 1200 قدم مربعة تملأ وادي الأردن في خمس سنوات. اهـ.

طريق بغداد



أكثر الكولونيل لورنس والموظفون البريطانيون في عمان من ركوب الطيارات والتحليق بين عمان وبغداد. ودار على الألسنة في شهر مايو 1921 أن في النية إنشاء سكة حديدية تصل العراق بشرق الأردن، وهذه بفلسطين، وتبين القصد بعد ذلك فإذا هو تعبيد السبيل بين القطرين وإقامة محطات في قلعة الأزرق وغيرها، لتسير السيارات وتطير الطيارات بلا خوف ولا تعرض لخطر.

وكانت الحملة الأولى التي افتتحت الطريق بعد أن اكتشفها الطيارون مؤلفة من 100 جندي إنكليزي وأربع دبابات مصفحة وسيارتين رشاشتين (متراليوز) وطيارتين مجهزتين بالمتراليوز وخمسة ضباط بريطانيين يرأسهم مفتش الدرك العام في شرق الأردن بيك بك.

وإلى جانب هذه القوة المهيأة للعنف والشدة قوة ثانية للتحبب والاسترضاء، يرأسها الشريف محسن بن الحسين الحارثي، وهي مؤلفة من مقادير كبيرة من

السكر والشوكولاته والتبغ أعدت لتوزع على القبائل الضاربة خيامها في الطريق!

وقد نجحت هذه الحملة وبلغت بغداد في منتصف شهر يونيو 1921 وأسست ما شاءت أن تؤسس من المخافر على طول الخط، غير أن القوة اتخذت مربضاً لها قلعة «الأزرق» فأصبحت المرجع الأعلى لمخافر الطريق كافة...

وأخذت السيارات والطيارات، من ذلك الحين، تذهب إلى العراق وتؤوب إلى عمان، آمنة مطمئنة، يراقبها تلغراف لاسلكي نصب يومئذ على رابية «مركة».



ثالث الرؤساء



كان لي أن أزور مهد الروح، دمشق، في شهر أغسطس 1921 وهناك إخواني الكثيرون، فزاروني وزرتهم، وكنت أعد في جملتهم رجلاً اتصلت له بعد ذلك علاقة بعمان فخصصته بالذكر هنا، جاءني مسلّماً وقصدته زائراً، ثم دعاني دعوة خاصة فأجبت، وانفردنا في إحدى غرف داره نتجاذب أسباب الحديث، وقد أشار إلى ابنه أن يغيب ليتم لنا الانفراد، فغاب، ولم أرتب في أن أمراً يحب جليسي علي رضا باشا الركابي، أحد رجال كراسي الحكم في سورية، أن يفضي به إليّ على أن يكون مكتوماً في ذلك الحين..

* * *

خاض الركابي غمار الحديث. وخلاصة ما يتعلق في موضوع هذا الكتاب منه أن الفرنسيين قد ضيقوا عليه الخناق وأنه لولا توسط اللورد اللنبي ما نجا من شرهم. وانتقل إلى السؤال عن عمان وأميرها وحكومتها

فلم أكتمه ما أعلم. وأطلعني على إزماعه الخروج من دمشق، وأنه سيقيم في العراق أو شرق الأردن يعمل في الزراعة معتزلاً كل ما من شأنه إنهاك شيخوخته، فأخبرته بأن رئيس المشاورين الجديد بعمان مظهراً الرسلان[1] منبوذ هناك، وكأن هذا القول أنعش الركابي، فاستزادني فزدته، وعرفت أن نزعة حب المنصب لا تزال قوية في نفسه على الرغم من إظهاره الزهد، واتسع نطاق الكلام فإذا هو ينصب الشرك ويريد أن يصيد، فاسترسلت معه ولم أكن لأرى بأساً في أن يتولى زمام الحكم في شرق الأردن، وانتقلنا من الأصول إلى الفروع فسألني هل هناك أحزاب؟ وكان يخشى شر الأحزاب. فقلت: ما هناك إلا حزب واحد يؤيدك ما عملت لمصلحة البلاد، فقال: وهذه يدي أعاهدكم. وافترقنا على أن نلتقي بعمان..

*　　*　　*

ولست بناس نشاط من أحسنوا بالركابي الظن، في عمان، وقيامهم بتمهيد السبيل لتوليه زمام الأمر في تلك المقاطعة، على علمهم بما له من سابقة كلها أثرة صفراء! وحقد أسود! ولكنهم خدعوا بوعد خلاب وعهد

(1) يلتبس على الكثيرين لفظ (أرسلان) بلفظ (الرسلان) فيظنهما من لا يعلم الحقيقة واحداً على ما بينهما من البون، فالأول لقب الأمراء الأرسلانيين في لبنان ومنهم الأمير شكيب والأمير عادل وغيرهما من المعروفين بمكانتهم في عالم الوجاهة والعلم. وأما (بيت الرسلان) فمن عائلات حمص وقد تعلم بعض شبانها ومنهم مظهر بك هذا الذي عرفناه وكيل متصرف في الصلت ثم مشاوراً عدلياً بعمان ثم رئيساً للمشاورين فيها.

جذاب فانخدعوا، ومن كالركابي في لينه ونعومة حديثه حين يخلو من منصب!

*　　*　　*

وبعد عشرين يوماً، من اجتماعي الأخير بالركابي في دمشق، كنت في عمان أجاهد في سبيل الاستعاضة عن كلمتي «مشاور» و «مشاورين» بلفظي «مستشار» و «مستشارين» وقد أبقت المدرسة التركية في أدمغة أكثر موظفينا كلمات يعز عليهم أن يفارقوها، فنجحت. ودعاني رئيس المستشارين - يومئذ - مظهر بك الرسلان إليه، وأنا مدير رسائل الرئاسة، فأملى عليّ العنوان الرسمي الذي يجب أن نفتتح به رسائلنا إلى المعتمد البريطاني، وهو: «سعادة المحترم رئيس المعتمدين لحكومة بريطانيا العظمى» وكان عنوانه من قبل «حضرة المعتمد البريطاني المحترم» وتناولت كتابين من الركابي، أحدهما من مكة وقد زار فيها الملك حسيناً والثاني من مصر وقد عاد إليها يحمل مشروعاً جديداً قال لي في كتابه الثاني إنه «مشروع اتفق عليه مع الملك حسين، يقضي بجلب قوة وسلاح من الحجاز، توضع في معان لتعتمد عليها حكومة عمان الوطنية في المستقبل» وفي الكتابين مواعيد وأماني وأسئلة لولا قوله في منتهاهما «وأدع هذا لسرك» لما بخلت بثلاث صفحات من كتابي أثبتها فيها.

*　　*　　*

وأصبحت يوم الأحد 5 آذار (مارس) 1922 في القدس أساوم على مطبعة عهدت إليّ حكومة شرق الأردن بشرائها، وعلمت يوم الاثنين أن الركابي يصل إلى القدس في المساء، فاستقبلته، وعجب كلانا لاتفاق وجودي هناك، وحدثته بأنه سيكون رئيس المستشارين لا محالة، وأعلمته بأن الأمير في مشتاه بالشونة، فأبرق إلى سموه، ودعاه أحد كُتّاب الأمير إلى «الشونة» بلسان الأمير، فذهب يوم الثلاثاء (7 آذار) فالتقى بعبدالله وصدرت الإرادة المطاعة مؤرخة في 10 آذار (مارس) 1922، 12 رجب 1340 بنصب الركابي رئيساً للمستشارين على أن يكون مظهر بك الرسلان مستشاراً للملكية (الداخلية).

* * *

وبعد أسابيع قليلة دعا الركابي من دمشق الشيخ سعيد الكرمي فجعله قاضياً للقضاة ودعا إبراهيم بك هاشم فنصبه مستشاراً عدلياً، وكان أحمد حلمي بك قد تولى المالية في أيام مظهر بك، وأصبح القائمون بشؤون الحكومة الآتية أسماؤهم:

الأمير شاكر بن زيد: نائب العشائر.

علي رضا باشا الركابي: رئيس المستشارين.

الشيخ سعيد الكرمي: قاضي القضاة وعضو في مجلس المستشارين.

مظهر بك الرسلان: المستشار الملكي وعضو في مجلس المستشارين.

أحمد حلمي بك: المستشار المالي وعضو في مجلس المستشارين.

إبراهيم بك هاشم: المستشار القضائي وعضو في مجلس المستشارين.

أحمد بك مريود: معاون نائب العشائر وعضو في مجلس المستشارين.

وأبدل منصب «مستشار الأمن والانضباط» بمنصب «مدير المن العام» على أن يكون هذا مرتبطاً برئيس المستشارين، وليس له أن يحضر اجتماعات المجلس.

* * *

صفا الجو لثالث الرؤساء، وأخذ يمسح الدموع التي تساقطت من عينيه حين عانق مريوداً وإخوانه في الشونة، ثم كان أول ما ابتدأ به أعماله طلبه أن يكون مرتبه الشهري مئة جنيه (وكان مرتب سلفيه خمسة وأربعين جنيهاً) وعارضه أحد المستشارين منبهاً إلى أن ضعف المنطقة المالي لا يجيز تحميلها مثل هذا المرتب الباهظ، فقطّب الركابي، معرضاً عن كل اعتراض، وأدلى بحجته التي هي تركه مرتب التقاعد في سورية وهو خمسون ورقة سورية مزدوجة.. وكان له ما أراد.



بدع الركابي



أحدث الركابي باشا في منطقة شرق الأردن بدعاً جديدة لم تكن فيها قبل حلوله، وقد دام بعضها إلى ما بعد نزوحه، وبينها السيئ الضار، وقليل منها النافع الصالح.

أما داهية الدواهي، التي لم تعرفها عمان قبل الركابي، فالجاسوسية.. وهو أولع الناس بها وأحرصهم على الاستفادة منها. وله فيها أساليب وطرائق يصل بها إلى القلوب الطاهرة فيعكر صفوها ويؤثر في تربيتها، وفي هذا من المفسدة في الأخلاق ما لا يطاق!

عرفنا الحكومات تتخذ أفراداً، لا قلوب لهم ولا ضمائر، اعتادوا أن يؤجروا أنفسهم لنبش دفائن النفوس، فتسخرهم وتستعين بهم على معرفة ما قد يفيدها في أمن داخلي أو تآمر خارجي، ولكن الركابي باشا بعيد عن هذا وذاك، فلا هو يكتفي بأهل الإخصاء في الجاسوسية ولا هو يكلفهم ما تكلفهم الحكومات!

طريقة الركابي أن يصبغ الجاسوسية بلون فيه لمعان وبريق، ويعدل بها عن اسمها الحقيقي إلى اسم يستعيره لها، فإذا دعا جاسوساً من أرصاده قال له: هلم يا أخي في الوطنية والمبدأ! وإذا قذفه إلى تجسس أحد الوطنيين، ولا جرأة للركابي على غيرهم، قال له: يجب علينا أن ندخل في قلب هذا الرجل فنعرف دخائله خدمة للوطن والمبدأ..! وإذا أراد استكتابه تقريراً أو وشاية قال له: لنسجل في أوراقنا أعمال هذا الخائن..!

فالركابي، في عمله هذا، ساحر لا يخلو من دهاء. ولو اتجهت جاسوسيته إلى الأمور العامة لهان الويل، ولكنه يحصرها في خدمة شخصه ومنصبه، فهو يتجسس الأحزاب الوطنية ليعلم رأيها فيه، ويتجسس الأفراد المخلصين ليعرف هل فيهم من يزاحمه على كرسيه، فيتقيه أو يؤذيه..

وهو لا يجعل لجواسيسه سبيلاً لمعرفة أنهم جواسيس.. يعطيهم مرتبات ومكافآت، ويسميها مساعدة وإعانة.. ويستدرجهم إلى الوشاية، ويسميها تضامناً شخصياً بينهم وبينه.. ويستكتبهم التقارير ويسميها مذكرات تحفظ عندهم وعنده!

* * *

بهذه الوسائل وأشباهها لا يعدم الركابي باشا، أنى أقام، زمرة تحيط به، يوهمها الصداقة والود ويستخدمها في السعاية والشر.. وهو إذا أعوزه في مكان أنصار من هذا النوع لم يعسر عليه أن يستقدم من سبقت له بهم صلة في مكان آخر.

وأما الأحزاب فقد عرفت أيها القارئ خوف الركابي منها، وبقي عليك أن تعرف طريقته في مناوأتها ومحاربتها. ولا تظننه ينتظر أن تبدأه الأحزاب بالشر فهو أبو عذرة الخصام، تثيره الظنة وتحفظه الشبهة، ولهذا تجد للأحزاب ضجة حوله في كل موطن. فهو يحارب الأحزاب بأحزاب مثلها، وبينما يكون عضواً في هذا الحزب لا تشعر به إلا قد نقم عليه أمراً فاستمال أشخاصاً منه وأضاف إليهم آخرين من غيره أو ممن لا عهد لهم بدخول الأحزاب، فخلق لهم اسماً وغاية وبرنامجاً وقال لهم: كونوا حزباً لي!

وهو لا يبالي إذا تألف حوله حزب، أن يكون كثير العدد أو قليله واضح الخطة أو مبهمها، ما دامت غايته الحقيقية أن يسمي حزباً وأن يتخذ أعواناً..

ولا ريب في أن أفراد الحزب الأول أو الأحزاب الأولى تضطر إلى مجاهرته بالمناوأة بعد أن يجاهرها هو بها، فيحتدم الخلاف وينشب الشقاق، فلا تلبث أن تراه يشكو الأحزاب ويتململ من وقوعه بين سنابكها!

* * *

وصل الركابي إلى عمان وفيها، كما علمت، حزب واحد هو حزب الاستقلال العربي، فلم يلبث صاحبنا أن أخذ يدس الدسائس لهذا الحزب، فعاتبه بعض أعضائه، فأنكر. ثم عاد إلى طريقته الأولى فجمع عدداً من الشبان وسماهم «حزب أم القرى» وكان قد ردد هذا الاسم على مسمع

الملك حسين حين زاره في أم القرى (مكة) وأوهمه بأنه اسم حزب كبير يعمل لتأييد جلالته ولبث دعوته. ولما شعر بالحاجة إلى حزب في عمان كان الاسم مهيئاً..وبهذا أصبح في عمان حزبان، أو حزب وشبه حزب..

وسمع من لا علاقة لهم بحزب الاستقلال من أهل شرق الأردن بالنغمة الجديدة فقال بعضهم: ونحن ما بالنا؟ ألا يكون لنا ما لهؤلاء؟؟ فألفوا حزباً سموه «حزب أحرار الأردن» فباتت الأحزاب ثلاثة...

وإذا أفردنا جماعة من رجال حزب «العهد» المعروف في سورية، كانوا يعملون في شرق الأردن متآزرين مع الاستقلاليين لاتفاق وجهة الحزبين ومرماهما، وأعدناهم إلى منبعهم رأينا الأحزاب أربعة. وربما كان في الخفاء بعد ذلك، غير هؤلاء، وغير أولئك!

لأربعة أحزاب، في بقعة صغيرة كعمان، ضجة ما مثلها ضجة. كان الركابي مسعر نارها ومثير ضرامها، ولولاه ما اختلف الرأي ولا افترق المتضامنون! فهذه بدعته الثانية..

* * *

وهناك ثالثة لا أبيح لنفسي أن أسميها بدعة، بل أرى من الواجب أن أعبر عنها بلفظ فيه من الاستكراه ما فيها.. إنها «جريمة» لا بدعة ولو فتحت باباً للجرائم لما أوردتها في هذا الفصل.

ظل الأمير عبدالله مدة إقامته في معان ثم في عمان، إلى أيام الركابي، محتفظاً بمزية عرفانه فضل أحرار البلاد وحفظه كرامتهم واعترافه بما أسلفوه من خير ويد.

كان الأمير يرى في الوطنيين قوة كبيرة من قوى الأمة العاملة، ولا يشك في أن سخط أحرار البلاد عليه مدعاة إلى سخط الأمة كلها.

كان لا يجرؤ على مس وطني مخلص بأذى، لعلمه بأن في الأمة عطفاً على أبنائها البررة، وحسّ رعاية لهم.

كان الأمير عبدالله يعتقد بأن للأمة رأياً عاماً يجب النزول عند إرادته.

وجاء الركابي فكان من أسوأ ما صنع تحريشه بين الأمير والوطنيين وتجرئته الأمير على إيذاء الوطنيين. بل ارتكب ما هو أسوأ من هذا فأدخل في عقل الأمير أن رأي الأمة هو رأي زعمائها وأن الأمر ما أمروا به، وعرّف له الزعماء بأنهم أهل الإمارة والسيادة والسلطان!

لقد أساء الركابي بدروسه هذه إساءة مزدوجة أضرت بالأمير كما أضرت بالوطنيين وبالناهجين نهج الوطنيين.

وهنا نكتة لا يخلو ذكرها من فكاهة، وإن لم يكن للركابي رأي فيها..

الركابي، باشا عتيق، لا فضل للأمير عبدالله عليه في رتبته. وهو أول «باشا» تولى رئاسة المستشارين في عمان واتخذ مرافقاً (ياوراً) عسكرياً يجري وراءه ويعد عليه خطواته وكيلومتراته لقبض «خرج راهاته»!

وقد أعجب الأمير عبدالله أن يكون رأس مستشاريه «باشا» له مرافق جعلها سنّة! وربما كان للركابي باشا شيء من الفضل في منح مظهر بك الرسلان ربة «الباشية» التي وجهها الأمير إليه بعد توليته الرئاسة على أثر استقالة الركابي، فيكون مظهر بك مديناً برتبته لعصا العسبلي ولرتبة الركابي معاً. وقد سبق لنا القول بأن الأمير منح مظهراً لقب «الفخامة» أولاً ثم «الباشية» أخيراً وكانت بعد انصراف الكرابي وبعد ترقية العسبلي إلى رتبة القائد.

ويؤيد هذا أن الأمير بعد أن أقال مظهراً من الرياسة الثانية وولى حسن خالد بك الصيادي الرفاعي رياسة مستشاريه خلع عليه الرتبة نفسها مضيفاً إليها لقب الفخامة فدعاه «صاحب الفخامة حسن خالد باشا».



كتاب الأمير عبدالله

إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين



صورة كتاب بعث به الأمير عبدالله إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين:

فخامة المندوب السامي بفلسطين المعظم

تعلمون فخامتكم بأنه من المشاهد المحسوس أن منطقة الشرق العربية قد تدرجت نحو الانتظام تدرجاً فعلياً ظهرت آثاره لكل عارف بسيرها ومراقب لخطواتها. وقد كان منها في ابتداء سنة الميزانية الحاضرة (نيسان 1922) أن وضعت لها موازنة عامة بلغت نيفاً ومئتي ألف جنيه اعتمد فيها على الواردات المقررة لها والمحصاة لديها، فكان الدخل التقديري مساوياً للخرج التقديري أيضاً وأخذنا نعمل على ترقية المنطقة بكل جهدنا ضمن هذه الموازنة بحيث مضت بضعة أشهر وسيرها متجه إلى الإصلاح والتنظيم

اللذين لم تعد آثارهما خافية على أحد كتوطيد الأمن وتعبيد الطرق ومد الأسلاك البرقية لجميع أنحاء المنطقة وتوسيع نطاق المعارف والأمور الصحية وغير ذلك من الأمور الظاهرة.

وكان في جملة ما اشتملت عليه موازنة الدخل واردات المكوس السورية وحصة المنطقة من واردات مكوس فلسطين وما يمكن أن يرد عليها من حصر الدخان بعد لغو دائرة «الرزي» والديون العمومية من المنطقة ولا يخفى أن لهذه الموارد الثلاثة ولتأمينها علاقة بحكومة فلسطين ولذا فإننا سنشرح لكل ما تم بشأنها:

1- **المكوس السورية**: بدأنا في أول السنة الحاضرة بتشكيل إدارة خاصة لاستيفاء المكوس عن البضائع الواردة من المنطقة السورية، وقبل شروع حكومتنا بالاستيراد توسط بالأمر رئيس المعتمدين هنا ريثما تم مخابرته مع فخامتكم فتوقفت حكومتنا عن العمل، ومضى على ذلك خمسة أشهر دون أن نتوفق للوصول إلى غاية ما في هذا السبيل.

2- حصتنا من مكوس فلسطين: كان المقرر لهذه المنطقة منذ سنة 1920 مبلغ ثمانية وعشرين ألف جنيه في العام باسم الحصة من مكوس فلسطين، ورغماً عن كون هذا المقدار قليلاً بنسبة الوارد على منطقتنا من هذه الجهة وبنسبة ما ازدادته التجارة في فلسطين فقد رضينا به مؤقتاً على أمل أن يزداد بازدياد المعاملات التجارية بين فلسطين وشرق الأردن، فازدادت العلائق التجارية بين المنطقتين بصورة محسوسة ولكن المبلغ فضلاً عن أنه لم

يرد فقد كلفنا بأن نحصي الموارد التجارية الواردة من جديد لنعلم ما سينتج، ولا يخفى على فخامتكم ما يحتاج إليه هذا الإحصاء من الوقت، ومثل ذلك ما يحسم من حصتنا باسم حصة الديون العمومية التي قدرتها حكومة فلسطين بثمانية عشر ألف جنيه وكسور سنوياً وهو تقدير ملؤه الغبن فعادت منطقتنا تتناول البقية الصغيرة التي هي تسعة آلاف جنيه وكسور في العام لا غير. ولو عدلت هذه النسبة على نسبة ما تدفعه حكومة فلسطين باسم الديون العمومية لنقصت حصتنا إلى العشرة أو الاثني عشر ألف جنيه.

وعلى أثر ما جرى من المخابرات المتوالية في هذا الشأن تعاقبت المؤتمرات في القدس الواحد تلو الآخر وحضر آخر مؤتمر رئيس مستشارينا ووكيل فخامتكم والمستر فلبي وفهمنا من نتيجة المذاكرة التي جرت أن التدابير الآنف ذكرها بشأن حصتنا من مكوس فلسطين، والمكوس التي تقرر وضعها على الوارد من سورية، بقيت بغير نتيجة قطعية وربما اقتضت عدة مذاكرات واجتماعات في المستقبل لأنه قد تقرر بأن تعاين قوائم الأموال وتقيد وترسل بواسطة رئيس المعتمدين لمقام فخامتكم لأجل التوسط بإرسال المبالغ التي ستقرر فيما بعد ذلك من رسوم المكوس، ومع علمنا بأن النتيجة منفية فقد أخذنا بالاستعداد لتطبيق القرار اعتباراً من أول أيلول 1922 حسبما تقرر. وبينما الحال كذلك إذا برئيس المعتمدين يطلب أن نرسل إلى فلسطين أحد موظفينا الماليين ليدرس الأصول المتبعة لديكم في استيفاء المكوس، فأرسلنا من نعتمد عليه في هذه المهمة ولكنه لم يبرح أن عاد

من القدس يذكر تكليفاً جديداً دعاه إليه مدير جمارك فلسطين المستر برن. ومؤدى هذا التكليف: (1) إرجاء البحث فيما يتعلق بمكوس المنطقة السورية (2) وضع شروط ومواد جديدة يريد بها عقد اتفاق آخر.

3 - **انحصار الدخان:** كانت حكومتنا قد ابتدأت منذ أول السنة المالية الحالية بوضع شروط لحصر الدخان في المنطقة وأعلنت ذلك في الصحف فجاءها عدة تجار، تبين لحكومتنا من مزايدتهم أن المبلغ سيتراوح بين خمسة عشر ألفا وعشرين ألف جنيه سنوياً، فتوسط سعادة رئيس معتمديكم بالأمر وقال إن حكومة فلسطين مستعدة للتعويض علينا بما يعادل المبلغ المقدر استيراده من هذا الحصر، وعلى ذلك أرجأنا أيضاً استيفاء تلك الواردات إلى انتهاء المفاوضة التي لم تنته بعد.

النتيجة: من الاطلاع على ما سبق إيراده يتضح لفخامتكم أن خمسة أشهر مضت من السنة الحاضرة وحكومتنا بين أخذ ورد ومفاوضات ومناقشات أنتجت توقفها عن استيراد المبلغ المقدر من مكوس بضائع المنطقة السورية وهو لا يقل عن أربعين ألف جنيه (سنوياً) والمبلغ الذي يجب أن يضاف إلى حصة المنطقة من جمارك فلسطين مع ما يجب تنزيله من حصة الديون العمومية بنسبة ما تدفعه حكومة فلسطين وهو لا يقل عن عشرين ألف جنيه والمبلغ المقدر الحصول عليه من واردات حصر الدخان وهو لا يقل عن خمسة عشر ألف جنيه بحيث يكون مجموع النقص ما يناهز خمسة وسبعين ألف جنيه أي ما يوازي ثلث الموازنة العامة في منطقة الشرق العربية.

وليس بالخفي أن هذا النقص الفادح في موازنة الدخل يلقي حكومة المنطقة في ارتباك مالي هائل ربما لا تستطيع بعده أن تضبط الأمور على ما نروم، ولا يقتصر الأمر على توقف سيرها المنتظم الذي ترونه ونراه، بل يتعدى إلى الأمن وفي هذا كما تعلمون فخامتكم ضرر على المنطقتين معاً بل على المناطق الثلاث في وقت واحد.

فلذلك وتلافياً للوقوع في هذه النتيجة التي تشاركوننا فخامتكم بوجوب التوقي منها، نرى أن الحل الممكن هو المثابرة على ما كنتم بدأتم به من إعطاء المنطقة سلفة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه شهرياً على حساب الواردات السابق ذكرها بينما تنتهي المفاوضات في شؤون المكوس وحصر الدخان وتقف مالية حكومتنا في موقف ثابت غير متزلزل من الوجهة المالية ولا أظن فخامتكم إلا توافقون على هذا الحل مراعاة للمصلحة العامة المشتركة وتحاشياً لكل اضطراب مالي يحصل في هذه المنطقة فيؤدي إلى ما نحذره أشد الحذر.

وإنني بانتظار جواب فخامتكم القطعي في هذا الشأن مقدماً أخلص احتراماتي الفائقة.

عمان: 2/ 9/ 1922

عبدالله



حادث القنيطرة



قد لا يكون من الحسن أن أغفل هذا الحادث، وإن لم يقع في عمان، فهو من حوادث سورية التي كان لشرق الأردن شبه علاقة بها بعد وقوعها.

وخلاصة ما كان أن الجنرال غورو (المندوب الفرنسي الأعلى في سورية) قصد القنيطرة يوم الخميس 23 يونيو 1921 (17 شوال 1339) يريد زيارة الأمير محمود الفاعور والشيخ نوري الشعلان. فبينما سيارته على بُعد 45 كيلومتراً من دمشق أطلق عليها عدد من الفرسان 15 عياراً نارياً أصاب ثلاثة منها حقي بك العظم (وكان على يمين غورو، وهو يومئذ حاكم دمشق) وأصاب واحد يد الجنرال غير السليمة، واثنان الليوتنان برانيه (ترجمان غورو، وكان جالساً إلى جانب السائق) فشفي حقي وغورو، وقتل برانيه.

* * *

علمنا بالحادث بعد وقوعه بأربعة أيام، وفي اليوم الخامس تلقى الشريف شاكر وكيل الأمير عبدالله (وكان الأمير في الكرك) برقية من مصر بتوقيع «عبدالله الخطيب» و «حبيب لطف الله» يقولان فيها إن الوكالة الفرنسية في القاهرة قد أذاعت أن التعدي على الجنرال غورو كان مصطنعاً من الأمير عبدالله، وأنها تحتج لدى إنكلترا. وطلب المبرقان التكذيب. فأبرق الشريف شاكر نافياً علاقة شرق الأردن بالحادث.

ولا أحب أن أؤلم القارئ بذكر ما صنعه الفرنسيون على أثر الحادث من فظائع التخريب والتعذيب، والإقعاد على أطباق النحاس المحماة بالنار وأخذ البريء بجريرة المسيء، فقد كان ذلك كله وأكثر منه، واتهم بالحادث أشخاص قيل إنهم لجأوا إلى شرق الأردن.

* * *

ووردت على حكومة عمان، بعد بضعة أسابيع، رسالة من المعتمد البريطاني بعمان يقول فيها إن السلطة الفرنسية في سورية كتبت إلى المندوب السامي بفلسطين وهذا كتب إليه طالباً من حكومة «شرق الأردن» تسليم المتهمين بإطلاق الرصاص على الجنرال غورو ورفاقه. وفي ذيل الرسالة قائمة بأسماء الأشخاص الذين يتهمهم الفرنسيون. ويسرني هنا أن أسجل لمظهر الرسلان موقفاً شريفاً، وهو أنه استطاع أن يتناسى علاقة شرق الأردن بفلسطين وأجاب بما تجيب به الحكومة المستقلة غيرها. فاعترض على الطلب بما يلخص بثلاث مواد:

الأولى: أن الجرم سياسي لا يحق لحكومة أن تطلب فاعليه من حكومة أخرى.

الثانية: أن بين الأشخاص المطلوبين أفراداً ثبت وجودهم يوم الحادث في بيت بإربد، مشتركين بفرح.

الثالثة: أن أكثر الواردة أسماؤهم مجهولون لا يعرف مقرهم.

* * *

وطال الأخذ والرد بين عمان وفلسطين وبيروت إلى عهد الركابي بعمان فدعاني يوما، وأنا رئيس ديوانه، وأخبرني بأن الإنكليز قد شددوا الوطأة على الأمير بطلب المعتدين على غورو وأنهم أبانوا لسموه أن الامتناع عن تسليم هؤلاء مفضٍ إلى نتيجتين: إحداهما تتعلق به وبالفرنسيين وهي تكدير الصفاء بينه وبينهم.. والأخرى تتعلق به وبالبريطانيين وهي عرقلة سفره إلى لندن (وكان الأمير يتهيأ له).

وأطلعني الركابي باشا على إرادة مطاعة، كانت في جيبه، تقضي بأن يكتب رئيس المستشارين إلى المندوب السامي بفلسطين اقتراحاً بشأن المتهمين بالاعتداء، خلاصته أن تنتدب حكومة فلسطين مندوباً وتنتدب حكومة شرق الأردن مندوباً ويتناقش المندوبان في الموضوع ويكون قرارهما النافذ في الحكومتين. فأخذت الإرادة منه وبنيت عليها كتاباً أرسلناه إلى المندوب السامي بواسطة رئيس المعتمدين البريطانيين بعمان.

وجاء جواب حكومة فلسطين بالموافقة على الاقتراح، وانتدبت رئيس محكمة نابلس الابتدائية نائباً عنها، وانتدبت حكومة شرق الأردن المستشار القضائي فيها إبراهيم بك هاشم. واجتمع المندوبان يومين متواليين في بدء تشرين الأول (أكتوبر) 1922 يتناقشان ويستعرضان الموضوع من كل وجوهه. وأخيراً اتفقا على مواد أثبتاها كتابةً وأمضياها.

وكانت خلاصة المواد المتفق عليها أن الجرم سياسي لا عادي إذ لا عداوة شخصية بين الجنرال والمتصدين له، وأن حكومة شرق الأردن غير مجبرة قانوناً على تسليم المتهمين إلا إذا شاءت مجاملة الحكومتين المجاورتين لها.. الخ.

* * *

هذا جلّ ما علمته عن الحادث ولعل آخر فصوله اجتماع المندوبين وصدور قرارهما الذي لم يكن ليقنع السلطتين الإنكليزية والفرنسية، ولكنه اضطرهما إلى التوقف عن إلحاحهما السابق والعدول عن لهجة الإنذار التي كانتا تخاطبان بها حكومة شرق الأردن صراحةً وتلويحاً إلى لهجة يقتضيها استدراج الأمير إلى مراعاة الجارتين ومجاملتهما..



الوهابيون في شرق الأردن



أصبح الأمير عبدالله يوم الأحد 13 آب (أغسطس) 1922 فدعا إليه رئيس المستشارين الركابي باشا، وأخبره بأن في جسمه توعكاً وأنه سينتقل بمقره وحاشيته ورجاله إلى صويلح (وهي أول قرية ينزلها الراحل من عمان في طريقه إلى الصلت أو القدس).

* * *

وانتقل المقر وأمير المقر إلى صويلح فعلاً عشية هذا اليوم وأرسل الأمير إلى رئيس المستشارين بلاغاً رسمياً يقول فيه إنه سيمكث في عزلته هذه ثلاثة أيام التماساً للراحة، وأذاع رئيس المستشارين خلاصة البلاغ في دوائر الحكومة كسائر ما يرد عليه من الإرادات المطاعة، وبات صاحب السمو الملكي ليلة الاثنين وليلة الثلاثاء في أطراف صويلح محاطاً بعبيده وخدمه وأمنائه.

ونهض الناس في عمان صباح الثلاثاء على دويّ الطبل الشديد، فتسابقوا إليه يسألون عما حدث وكان من العادة - قبل صيرورة عمان عاصمة - أن يُضرب هذا الطبل استنفاراً لأهلها وإنذاراً بوقوع حادث فجائي مخوف. ولم يلبثوا أن سمعوا النذير يصيح بأن الوهابيين أغاروا على قرى بني صخر المجاورة لعمان وأن القتال لا يزال ناشباً بينهم وبين بني صخر.

وما انتصف النهار حتى كانت الحكومة قد سيرت ما عندها من القوة العسكرية وما لحق بها من البدو، نجدة لبني صخر، وأخذ الركابي باشا يغدو ويروح بسيارته بين عمان وصويلح وبين بيته ودار رئيس المعتمدين البريطانيين بعمان، وأمسى المساء فأخذنا نسمع بعمان صوت الرصاص المتبادل من العشى إلى الصباح. وقد مكث الركابي باشا عند رئيس المعتمدين إلى نحو نصف الليل يحاول عبثاً أن يقنعه بالسماح للطيارات والدبابات البريطانية بالاشتراك في القتال. وكانت هذه الحادثة أول غارة هاجم بها الوهابيون شرق الأردن.

* * *

ودام القتال من فجر الثلاثاء إلى ضحى الأربعاء وقد طارت الطيارات بعد أن تغلب أعراب شرق الأردن على المغيرين من الوهابيين وعادت فأخبر راكبوها بأنهم لم يروا أحداً.

* * *

ولقد أبلى رجال بني صخر في تلك الواقعة بلاءً عجيباً ولاسيما شيخ مشايخهم مثقال باشا ومنور بن حديد وحديثة الخريشة، ووردت في اليوم الثاني برقية على الأمير عبدالله من مصر ببيتين من الشعر قالهما الأستاذ شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي، أذكر منهما البيت الثاني وهو:

وليحيى أقوام مثقال فقد وزنوا من الرجال بمثقال قناطيرا !

* * *

وكان يوم الأربعاء يوم ذعر أيضاً فإن الأخبار وردت بأن جموع الوهابيين لجأت إلى «العمري» وهو على نحو ثمانين كيلومتراً من عمان، فقصدتهم الدبابات الإنكليزية وعادت وجنودها يزعمون أنهم لم يهتدوا إلى الطريق..

* * *

وعاد سمو الأمير صباح الخميس بعد أن تم جلاء المهاجمين، والتقيت بالشيخين حديثة الخريشة ومنور بن حديد فأخبراني بأن عدد الوهابيين كان نحو ألف وخمسمئة مقاتل وأن قتلاهم لا تقل عن ثلاث مئة. وقد قتل من بني صخر وغيرهم جماعة بينهم ابن عم لمثقال.

وفي ضحى هذا اليوم سافر الركابي باشا إلى القدس يشكو إحجام رئيس المعتمدين بعمان عن الإشارة إلى الطيارات والدبابات بمساعدة حكومة الأمير عبدالله ورجال منطقته في هذه الواقعة. فمكث يومين وعاد

يوم السبت فعلمت منه أنه اجتمع بالمندوب السامي السير هربرت صموئيل وأن المندوب وعده باسترداد دومة الجندل (الجوف) من الوهابيين وضمّها إلى شرق الأردن.



رحلة لندن

مقدماتها - منشور الأمير - خطبة الأمير - سفر الأمير والركابي - افتراقهما في لندن - عودة الأمير - خطبته بعمان - عودة الركابي - نصوص المذكرات الرسمية التي تبولدت بين الركابي ووزارة المستعمرات - نفقات الرحلة.



كان يوم 11 أيلول (سبتمبر) 1922 موعد حفلة تقيمها في القدس حكومة فلسطين، ورددت الأفواه قبل ذلك اليوم أن المندوب السامي بفلسطين السير هربرت صموئيل سيلقي خطبة رسمية موضوعها حق اليهود باتخاذهم فلسطين وطناً قومياً لهم. وحضر الأمير الحفلة ومعه رئيس مستشاريه، فدخلا القدس وأبواب متاجرها مغلقة، وأصوات مؤذنيها ونواقيسها تدوي احتجاجاً وحداداً طول ذلك النهار.

* * *

وتردد في الأفواه وعلى الأسماع بعد ذلك، خبر الرحلة، وجعل الناس يتساءلون عن سببها والغاية منها إلى أن كانت..

ولا ريب في أن الأمير كان يرى أسباب الرحلة بغير العين التي كان الإنكليز يرونها بها، فإن حرصه الشديد عليها ليدل على ما طمحت إليه يومئذ نفسه من تحرير العرب وإقامة دولة لهم. وأما الإنكليز فقد قال أحدهم وهو المستر «لودر» في كتاب له تُرجم إلى العربية وسمي «القول الحق» ما معناه:

«لم يتمكن الأمير عبدالله بحسب الظاهر من تأسيس الحكم على صورة قوية ثابتة فذهب في خريف عام 1922 إلى إنكلترا ليتذاكر مع البريطانيين بشأن مستقبل تلك البلاد .. الخ».

* * *

وبتاريخ أول تشرين الأول (أكتوبر) 1922 تلقى رئيس المستشارين من مقر الأمير الإرادة المطاعة الآتي نصها الحرفي:

دولة رئيس المستشارين:

بما أننا متوجهون إلى لندن بناءً على الدعوة الواردة من الحكومة المفخمة البريطانية يوم الثلاثاء القادم المصادف 3 تشرين الأول سنة 1922 و12 صفر سنة 1341 نأمر بما يأتي:

1 - سمو الأمير شاكر يكون وكيلاً عنا مدة غيابنا وكيلاً عن دولة رئيس المستشارين وأن يكون المستشار القضائي معاوناً لسموه في الوقت ذاته.

2 - لا يجوز إحداث شيء جديد مطلقاً ويجب المحافظة على الوضعية الحاضرة لحين العودة.

3 - يجب الاهتمام الشديد بالمحافظة على الأمن العام.

4 - يجب إخراج المشاغبين والمتشردين والمشبوه بهم من المنطقة عند أقل بادرة تصدر منهم.

5 - يجب عدم السماح للأحزاب بالاجتماعات ظاهرة كانت أو خفية.

6 - الدوام على إيفاء الوظائف كما كان سابقاً.

7 - يجب بذل المجهود في جباية الأموال.

8 - يجب عدم السماح بما يعكر جريان الأحوال التي كانت سائرة عليه المنطقة مع المناطق المجاورة والسهر على هذه النقطة وإلقاء المسؤولية على أي كان من المأمورين إن حصل منه أدنى تساهل في هذا الأمر.

9 - بذل الهمة في استمرار روح المودة بين المستشارين ومعاونة بعضهم البعض.

10 - يجب ترتيب مقدار خمسين جندياً من عموم درك المنطقة تحت قيادة أحد الضباط وإرسالهم إلى قصر الجفر واحتلاله.

11 - محافظة الحال الحاضرة المشكورة بين دار الاعتماد والحكومة بروح التفاهم الجارية الآن.

12 – تعليق كل تكليف يأتي من الحكومة بفلسطين يراد استحداثه لحين حضورنا.

13 – إن تأخر إشغال المحلات العسكرية بالقريات تجب المذاكرة مع بيك بك في اتخاذ التدابير الشديدة الفعلية واحتلالها جبراً.

14 – مراعاة كل ما ذكر من المواد بعاليه وتطبيقها بكل اهتمام ودقة.

10 صفر 1341 الموافق 1 تشرين الأول 1922

عبدالله

* * *

أما «الجفر» الوارد ذكره في المادة (10) فهو قصر يبعد عن معان مسيرة أربع ساعات إلى الجنوب كان يسكنه الشيخ عودة أبو تايه. ولي كلمة في أبي تايه أذكرها في أحد الفصول الآتية.

* * *

واجتمعت وفود المودعين في مقر الأمير يوم الاثنين 2 تشرين الأول 1922 فحدثها الأمير بما ينوي عمله في رحلته هذه وما يجب أن تكون البلاد عليه مدة غيابه وختم كلامه بقوله:

«مضى علي مدة غير قليلة وأنا أتحمل فيها الأتعاب والمشاق تحت الخيام صابراً أروض الأمور حتى ألين مستعصيها وأظن أن الوقت قد حان

لاقتطاف ثمار هذا الصبر وإني ذاهب إلى لندن الآن بدعوة من حكومتها.. وسأبحث في القضية العمومية لنصل للنتائج المطلوبة وأحب من هيئة الحكومة أن تحافظ على الوضعية التي سأترك المنطقة عليها حتى لا تشوش عليّ مفاوضاتي وأعمالي وأحب أن تبقى الصلات الحسنة بين حكومة هذه المنطقة وبين حكومة فلسطين دائمة وأن البلاد العربية مفتقرة لمساعدة الدول الأجنبية ربع قرن قبل أن تتمكن من حكم نفسها بنفسها..».

* * *

وبرح الأمير والركابي باشا، ومن صحبهما في رحلتهما، بلدة عمان صباح الثلاثاء 3 تشرين الأول (أكتوبر) 1922 فباتوا في القدس، وبرحوها صباح الأربعاء إلى الإسكندرية ومنها إلى تريستة فأوستند (المرفأ البلجيكي) فدوفر فلندن.

وقد ودع أحرار القدس الأمير ببيان أبرقت به مكاتب جريدة «المورننج بوست» من القدس قائلاً:

«سلمت اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني كتاباً إلى الأمير عبدالله أكدت فيه طلبها استقلال فلسطين وإنشاء حكومة قومية ولغو السياسة القائمة على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود. وقد طلبت اللجنة في كتابها هذا من الأمير عبدالله أن لا يتكلم باسم فلسطين إلا بهذه المطالب..».

* * *

ونزل الأمير ومن معه في فندق «كارلتون» بلندن، واتفق وصولهم في أثناء اشتداد أزمة وزارية فيها سقطت على أثرها وزارة لويد جورج، وكتب إليّ الركابي باشا بتاريخ 25 أكتوبر كتاباً يقول فيه: «إن وصولنا إلى لندرة كان شؤماً على وزارة لويد جورج فسقطت، واليوم تعين غيرها، وسيبدأ عملنا من اليوم ومن الله التوفيق».

أما الأمير فقد ضاق صدره في لندن، حتى كان الخفقان يعاوده مراراً في اليوم، فلم يحتمل طول الإقامة فيها، ولجأ إلى رئيس مستشاريه الركابي باشا راغباً إليه أن ينوب عنه في المذاكرات، ورأى الركابي وجوب بقاء الأمير، فأصر هذا على الأوبة، فعهد إلى الركابي بالعمل، ورحل..



عودة الأمير



قفل الأمير عبدالله آيباً من لندن، تاركاً الركابي ينوب عنه فيها، واتجه إلى الحجاز حيث أنس بإخوان صباه، وبل الغلة من شوقه إلى صغيريه طلال ونايف، وقبّل يدي جلالة والده الحسين، ثم انصرف يريد عمان..

ومرّ بمصر حاملاً إلى جلالة مليكها وساماً من جلالة أبيه. والتمس يوم تقديم الوسام ضابطاً عربياً برتبة «باشا» يرافقه في دخول قصر عابدين، فلم يجد. وتلقيت برقية منه - وكنت وكيلاً لوكيل رئيس المستشارين[1] - خلاصتها أنه أنعم على الزعيم (أميرالاي) العسكري رشدي بك الصفدي

---

(1) ذلك لأن معاون وكيل رئيس المستشارين كان قد ذهب إلى السويس لاستقبال الأمير فكان الشريف شاكر وكيل الأمير عبدالله ووكيل رئيس الحكومة يكتب إليّ شخصياً بهذا اللقب والصواب أن يدعوني يومئذ: وكيل معاون وكيل رئيس المستشارين !!

برتبة أمير لواء (باشا) ولم أدرك سبب هذه النعمة إلا بعد وصول الأمير إلى شرق الأردن وشيوع خبر الوسام وحاجة الأمير إلى باشا يرافقه بمصر..!

وبلغ الأمير عبدالله عمان في أول كانون الثاني (يناير) 1923 (14 جمادى الأولى 1341) قادماً من الشونة عن طريق الصلت، وقد اجتمعت وفود البلاد تلتمس بياناً من سموه تطمئن به قلوبهم، وفي اليوم الثاني ألقى عليهم بيانه الآتي نصه:

خطبة الأمير بعد أوبته من لندن

«ليست من عادتي كتابة خطاباتي ثم تلاوتها ولكن في سوء تصرف الرواة وتحريف بعضهم للقول وأهمية الموضوع ما يحملني على ما ترونه لذلك أتلو عليكم ما سيأتي: لا أشك في أنكم تتطلعون إلى ما ستسمعونه عن رحلتي المعلومة وأنتم محقون في ذلك وعليه أقول: اعلموا أن هذه الرحلة كانت لصالحكم وإنها والحمد لله جرى فيها كل ما هو مطابق لمصالحكم ورغائبكم خصوصاً أمر استقلال منطقتكم.. فإنه الجزء المهم من سلسلة التشبثات التي ستطلعون على تفاصيلها إن شاء الله تعالى بعد قدوم دولة رئيس المستشارين المتخلف لإنهاء هذه الأغراض.

وعلاوة على هذا أقول لكم إنني رجعت وأنا كلي رجاء في الوصول بمشيئة الله إلى النتيجة الحسنة فيما رمت إليه النهضة العربية المستندة على الآمال القومية. وإنني كما قلت للمجموع في موقفي هذا عند قدومي إلى

هذه المنطقة كما تتذكرون من أنه لو كانت لي سبعون نفساً فقدتها كلها في سبيل القومية والوطن لما رأيتني قمت بالواجب.

ولكن لخدمة الوطن وجوه، ولكل وجه سبب وأفضل تلك الوجوه الآن وفي كل آن أسلمها عاقبة وأقلها ضرراً ومع أنني عالم بثقل لوازم الوطن ومقتضياته ومتاعب الوصول إلى غاياته أقول إن كل هذه الصعاب ستذلل إن شاء الله بالحكمة القومية والتعقل العنصري اللذين ورثتموهما عن آبائكم مع الاتكال على الله تعالى في كل الأحوال. ويحسن بي القول هنا أيضاً أنني قد عدت من هذه الرحلة وأنا مشاهد آثار المودة البريطانية التي سنجني باستمرارها حقائق المنافع المرموقة كما وأنني عظيم الرجاء من أن الحكومة الجمهورية الفرنساوية الفخيمة الموجودة الآن على الوجه المعلوم بالقسم الشمالي من وطننا المحبوب لا تحمل حقداً على قوميتنا وقضيتنا وإننا بمشيئة الله سنصل قريباً إلى إسعاد الوطن كله بتعضيد دولتي التحالف الكبيرتين وانكشاف الآمال الشريفة القومية على الوجه المطلوب.

هذا وقبل أن أختم قولي أريد أن أثني على رجال حكومتنا الذين قاموا في غيابنا بما أودع إليهم من الأمور حق القيام كما وأني أشكر للأهلين جميعاً حميتهم الوطنية وائتمارهم بأوامر الحكومة وانصرافهم إلى أعمالهم التي تعود عليهم وعلى وطنهم بالخير والسلام.

وهنا أعلن بلسان الصرامة تأكيد عزمي السابق من جعل هذه البلاد بلاد دعة وأمان ترتاح لحسن إدارتها أفكار محبيها خالية من وجود ما يوجب

شكاوي قاطنيها ومجاوريها وأتأمل أنني أصبت بهذه الصورة ما يرتأيه محبو الوطن وطالبو الخير له. والله الموفق لما فيه النجاح والمصوب لما فيه السداد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». اهـ.



أوبة الركابي



وصل الركابي باشا إلى شونة نمرين بالغور (مشتى الأمير عبدالله) صباح الأربعاء 16 كانون الثاني (يناير) 1923 آيباً من لندن، بعد أن أتم جانباً من مذاكراته مع مندوب وزارة المستعمرات، وخلا في الشونة بالأمير فحدثه بنتائج عمله، واستأنف السير إلى الصلت حيث كانت وكالة رئاسة المستشارين.

* * *

وفي مساء هذا اليوم (16 يناير) رفع الركابي باشا إلى أعتاب الأمير كتاباً أتى فيه على خلاصة أعماله في لندن وربط به صوراً عما دار بينه وبين الإنكليز من المفاوضات.



المراجع والمصادر

المراجع العربية:

1- أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله المعروف بأبي خرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة برل 1889م، نشرته مكتبة المثنى ببغداد (بالأوفست).

2- العابدي، محمود، من تاريخنا، المجموعة الثانية، عمان 1963.

3- العابدي، محمود، القصور الأموية، عمان 1958.

4- العرموطي، محمد نزال، دليل المواطن (مجموعة القوانين والأنظمة المعلقة بالحكم المحلي والانتخابات النيابية في الأردن)، عمان.

5- القطب، إسحاق، التحضر ونمو المدن في الدول العربية، عمان 1968.

6- الكرد، عباس، وزملاؤه، الحضارات القديمة في الشرق والغرب، مطابع المكتب الإسلامي، عمان 1967.

7- المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة برل (الطبعة الثانية) 1959، نشرته مكتبة المثنى ببغداد.

8- المنظمة العالمية لحرية الثقافة، تخطيط المدن في العالم العربي، مراجعة مورو بيرجر، القاهرة 1960.

9- بيرجر، مورو، العالم لعربي، تعريب محي الدين محمد، بيروت 1963.

10- حمدان، جمال، جغرافية المدن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

11- عبدالحكيم، محمد صبحي، مدينة الإسكندرية، القاهرة 1958.

12- عويس وهدان، مشروع مياه عمان الكبير، مجلة المهندس الأردني، العدد الخامس، يناير 1968.

13- غلاب، محمد السيد، وزميله، السكان ديموغرافيا وجغرافيا، القاهرة 1963.

14- غرفة صناعة عمان، الكتاب السنوي الثاني، 1967.

15- مدلل، أسامة، المياه الجوفية في الأردن، بحث قدم إلى مؤتمر اتحاد المهندسين العرب، القدس، 1966.

16- ممفورد، لويس، المدينة على مر العصور، ترجم بإشراف الدكتور إبراهيم نصحي، القاهرة، 1964.

التقارير والنشرات:

17- الجريدة الرسمية الأردنية، مجموعة الأنظمة، عمان 1965.

18- المكتب الاجتماعي والاقتصادي لهيئة الأمم في بيروت بالتعاون مع الحكومة الأردنية، تقرير حول (دراسة اجتماعية لمدينة) عمان عام 1966، (لم ينشر بعد).

19- أمانة العاصمة، سجلات رخص المباني للسنوات، 1953-1967.

20- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، التقرير الأول، الهجرة الداخلية والعد الشامل، عمان، 1967.

21- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، التقرير الثاني، الهجرة الداخلية والعد الشامل (لم ينشر بعد).

22- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، مجموعة الجداول الخاصة بمحافظة عمان، عن العداد الأول للسكان والمساكن لعام 1961، عمان.

23- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، الخصائص العامة للسكان، المجلد رقم 1، عمان 1964.

24- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، خصائص وتوزيع السكان في محافظة عمان، التقرير رقم 6 عن التعداد الأول للسكان والمساكن عام 1961، عمان.

25- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، الخصائص الاقتصادية للسكان، الجداول النهائية عن التعداد الأول للسكان والساكن لعام 1961، عمان.

26- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، خصائص السكان الاقتصادية، المجلد رقم 2، عمان 1964.

27- دائرة الإحصاءات العامة الأردنية، النشرة الشهرية للأرقام القياسية لتكاليف المعيشة في مدينة عمان، نيسان 1967.

28- دائرة الصحة الأردنية، التقرير السنوي لعام 1926.

29- سلطة المصادر الطبيعية الأردنية، النشرة الفنية رقم 41 للموسم 1965/ 1966، قسم الدراسات المائية، عمان.

30- وزارة التربية والتعليم، تقرير عدد المدارس والطلبة والهيئات التدريسية في عمان للعام الدراسي 1967-1968، قسم الإحصاء (لم ينشر بعد).

31- وزارة الصحة الأردنية، تقرير السنوات، 1958-1965، عمان 1966.

32- وكالة غوث اللاجئين، تقرير عن أحوال اللاجئين الفلسطينيين في المملكة الأردنية الهاشمية عام 1950، عمان.

المراجع الأجنبية

33- Baggaen, Ghlb, A paper submitted to the I.R.F. middle east regional meeting, Beirut.

34- Dickinson, Rober, city Region, London 1964.

35- Gluoch, Nelson, The other side of the Jordan, American schools o oriental research New haven, Connecticut. 1940.

36- Hacker, Jane, Modern Amman, A social study research paper, Department of Geography, The University of Durham, 1960.

37- Harding, Lankester, The Antiquities of Jordan, Lutterworth press, London, 1959.

38- Ministry of Interior for Municipal and Rurla Affairs, Regional planning in Jordan (analysis), Three volumes, Amman, 1967.

39- Ministry of Social Affairs, Social Survey of Amman, 1959.

40- Patai, Raphael, The Kingdom of Jordan, Princeton new Jersey, Princeton University press, 1958.

التقارير والنشرات:

41- Adibi, Ali, A solution to the problem of traffic in central area of Amman (Report) Amman 1957.

42- Almusri, Munieb, Geological report, Amman, Zarka are Amman, 1962.

43- Jones, (J.W.), Future population growth in Amman (report) Amman 1967.

فهرس



خير الدين الزركلي

عامان في عمّان

مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن
1921 - 1923

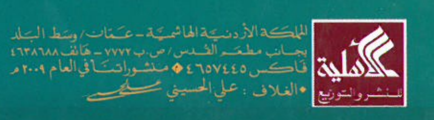
لم يكن في عمّان آنئذ سيارات تحمل الناس منها إلى المحطة، ومن المحطة إليها، والمسافة بينهما ثلاثة كيلومترات، وإنما كان الركوب على عجلات الخيل هو كل شيء هناك من وسائل النقل والتنقل.

ورأى المقيمون في عمّان الذين يذهبون لزيارة الأمير في كل يوم، أن إضاعة ساعتين من كل صباح، بين الغدو والرواح، حال غير محمودة، فاتفقوا ـ وأنا في زمرتهم ـ على النقلة إلى المحطة أيضاً...

وصباح الخميس 30 جمادى الثانية 1339 هـ (10 مارس 1921) كانت الحقائب والأخراج تنقل تباعاً إلى الوادي الخصيب المجاور للمحطة، وفي جملتها حقيبتان إحداهما لي والثانية ليوسف ياسين، الصديق الصدوق، ألقيتا على مقربة من نهر هناك، ثم أقيمت عليهما خيمة كانت مأوانا بضعة أسابيع، ولله ما أحلى حياة الخيام!



ISBN 978-6589-07-980-3



المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
بجانب مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٤٦٣٨٦٨٨
فاكس ٤٦٥٧٤٤٥ ◆ منشوراتنا في العام ٢٠٠٩ م
◆ الغلاف : علي الحسيني